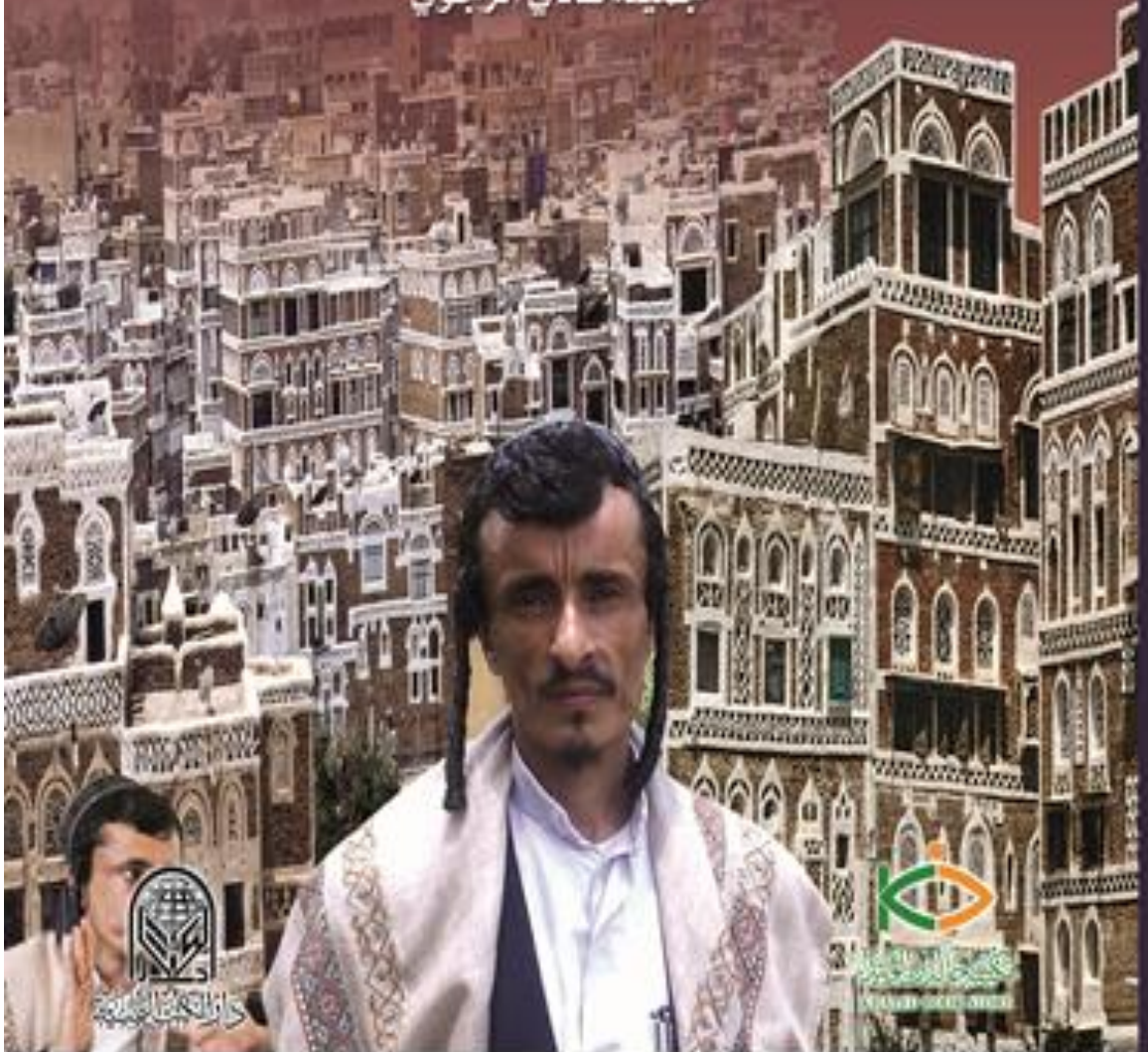


يهود صنعاء

دراسة عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية
فترة حكم الامام يحيى (1904 - 1948 م)

جميلة هادي الرجوي



يهود صنعاء

دراسة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية
فترة حكم الإمام يحيى حميد الدين
(١٩٠٤ - ١٩٤٨ م)

جميلة هادي ناصر الرجوي

أستاذ التاريخ المساعد بكلية التربية أربح

إحسان

إبراهيم والديّ الحبيب، العملّاقين في الحب والعطاء، والمحرص على العلم والعمل، ورغم ظروف حياتهما التي لم تتمّ لهما فرصة التعليم، فقد جرحتهما فؤادك في أولادهما، بوجع ومنابرة سمى الأبناء وفاح نورا الأزهار.. وإخوانك والديّ (رحمه الله) قد انتقل إبراهيم لرحمة الله، قبل أن يسعد بعطائه، فأبى والديّ حفظها الله، ما زالت تحفنا بفيض حبها، ووفى عطائها، كتبرّ جارٍ.

إليهما أشكركم بأكورة أتمالي

المقدمة

كان يهود اليمن على الدوام يشكلون جزءاً لا يتجزأ من السكان اليمنيين، وقد امتزجوا في المجتمع ومارسوا عاداته وتقاليده وأسلوب تفكيره، وطرق حياته الاقتصادية والاجتماعية .

ومؤخراً تناولت بعض الأبحاث والدراسات أوضاع الطائفة وظروف تهجيرها إلى فلسطين، ولكن بشيءٍ من الإيجاز والإجمال، ودون إتباع كامل لشروط البحث العلمي المطلوبة في أي دراسة علمية وموضوعية . باستثناء دراسة الدكتورة " كاميليا أبو جبل " والذي قدمت فيها دراسة سريعة ليهود اليمن بشكل عام، وكذلك دراسة الدكتور " محمد عبد الكريم عكاشة " الذي فصل فيها ظروف تهجير اليهود اليمنيين إلى فلسطين، وهما البحثان اللذان شكلا مراجع مهمة في هذه الدراسة.

والمؤلفات اليمنية على وفرتها لم تتعرض لتاريخ الطائفة إلا
لماً ؛ لأن المؤرخين اليمنيين اعتبروا يهود اليمن جزءاً لا يتجزأ
من نسيج الشعب اليمني، وبالتالي لم ينظروا إلى تاريخ الطائفة
اليهودية كتاريخ مستقل عن اليمن.

وفي هذه الدراسة " المحددة " تطرقت إلى جانبٍ مهمٍ من
جوانب حياة هذه الطائفة في اليمن، وهو الجانب الاجتماعي
والاقتصادي، وركزت على يهود صنعاء بشكل أساسي، فترة حكم
الإمام " يحيى حميد الدين " (١٩٠٤-١٩٤٨م) ؛ وذلك بحكم تواجد
اليهود فيها بأعداد كبيرة يفوق وجودهم في أي مدينة أخرى.

كذلك كونها عاصمة الدولة ومركز حكمها، وكثرة النشاط
الاقتصادي وتنوعه فيها وخاصة إبان حكم الإمام يحيى لشمال اليمن.
كما أن اختيار فترة البحث جاءت من كون هذه الفترة، شهدت
تطوراً إيجابياً في علاقة اليهود بالدولة من حيث التنظيم الشامل
لجوانب الحياة السياسية والاجتماعية بين اليهود والإمام يحيى
مؤسس الدولة المتوكلية في اليمن (١٩١٨-١٩٦٢).

والتوسع في دراسة حياة اليهود اليمنيين دراسة شاملة بكل تفاصيلها الدقيقة يتطلب مستقبلاً أبحاث ماجستير ودكتوراه، تُستخدم فيها جميع الوثائق المتاحة الموجودة في اليمن وخارجها لإعطاء الصورة المتكاملة عن يهود اليمن .

ومع ذلك فهذا البحث يسهم إلى حدٍ كبير في إعطاء صورة واضحة عن ظروف الطائفة اليهودية في ظل الدولة المتوكلية، بزعامة الإمام يحيى، إلى أن تمت الهجرة إلى فلسطين، فيما عُرف باسم "البساط السحري"، والذي من خلاله تم تهجير غالبية اليهود من اليمن إلى فلسطين بعد إبرام اتفاقية مع الإمام يحيى في أواخر حكمه عام ١٩٤٨ م .

ويتألف هذا البحث من تمهيد وأربعة فصول .

▪ **يتناول التمهيد الخلفية التاريخية للتواجد اليهودي في اليمن، مع الإشارة إلى عدد اليهود في اليمن بشكل عام، وصنعاء بشكل خاص .**

▪ أما الفصل الأول، وعنوانه "علاقات يهود صنعاء بنظام الحكم اليمني إدارياً وقضائياً": أتناول فيه بشيءٍ من التفصيل موضوع الجزية، وكيفية جبايتها طول فترة حكم الإمام يحيى، وتمتع الطائفة بإدارة شئونهم الذاتية بحرية تامة، وإعطاء نماذج أصلية بأرقام وفئات اليهود، وأسماء الحارات التي كانت تجبى منها الجزية في قاع اليهود، أيام الإمام يحيى، مصورة من أرشيف المركز الوطني للوثائق بصنعاء .

▪ والفصل الثاني، وعنوانه "الحياة الاقتصادية ليهود اليمن": أتناول فيه أسباب انصراف يهود اليمن عن العمل في الزراعة وتوجههم إلى ممارسة المهن المختلفة ، وكذلك التجارة والعلاقات التجارية بين اليهود والعرب المسلمين، ودور التجار اليهود في الحياة الاقتصادية للمجتمع اليمني .

▪ ويأتي الفصل الثالث وعنوانه " الحياة الاجتماعية ليهود اليمن": لنوضح من خلاله صورة موجزة عن الحياة الاجتماعية ليهود صنعاء، وطبيعة العلاقة بينهم وبين أبناء المجتمع من جهة، وبينهم وبين الدولة من جهة ثانية، مركزة في هذا الفصل على " الحي اليهودي" بصنعاء موقعه، طريقة بناء منازلهم، وكذلك الإشارة في هذا الإطار إلى العادات والطقوس الدينية، والمناسبات الاجتماعية التي يتميز بها اليهود في المجتمع اليمني ومارسوها بحرية تامة.

▪ **والفصل الرابع ، تناولت فيه هجرة اليهود إلى فلسطين:** بداية هذه الهجرة، والمراحل التي مرت بها، كذلك الوسائل والجهود التي بذلت في تهجيرهم فيما عرف بعملية " بساط الريح " .

وقد بذلت جهداً في الرجوع إلى معظم المصادر الأصلية من وثائق (غير منشورة) ومنشورة، ومخطوطات، ومن الكتب والمراجع

العربية والدوريات المتنوعة التي تكلمت في هذا الموضوع، أو أشارت إليه، ومن ذلك :

▪ **وثائق غير منشورة، حصلتُ عليها من أرشيف المركز الوطني للوثائق، بمساعدة الرجل الوطني الجليل القاضي "علي أبو الرجال" أطال الله عمره ، والذي لا يبخل بالجهد والوقت في مساعدة الباحثين وطلاب الدراسات العليا، وتزويدهم بما يحتاجون إليه في أبحاثهم، بصدق ورحابة صدر. وقد أمدني بصور الوثائق عن تعاملات اليهود مع المسلمين والدولة، وكذلك نماذج من كشوفات تحصيل الجزية التي كانت تأخذها الدولة من يهود القاع بصنعاء .**

▪ **وثائق الحاخام "سالم سعيد الجمل" المنشورة في دراسة الدكتورة "كاميليا أبوجبل" (يهود اليمن)، والتي قام بنشرها معهد يشورن في القدس بين عامي (١٩٨٢-١٩٨٥م) ، والحاخام "سالم" يهودي يماني كان قد تسلم زعامة الطائفة اليهودية في اليمن عام ١٩٣٥م .**

وتوضح هذه الوثائق الكثير من التعاملات والقضايا التي كانت تحدث بين الإمام يحيى واليهود، وقد اصطحب الجمل هذه الوثائق معه إلى القدس عندما غادر اليمن عام ١٩٤٤م، وهي وثائق أصلية ومعظمها ممهور بتوقيع الإمام "يحيى" وختمه .

- **مخطوطة "حاييم بن يحيى حبشوش"** ، وعنوانها "رؤياي اليمن"، قام بكتابتها عام ١٨٩١م بأحرف عبرية، وقامت بنقله إلى العربية الدكتورة "سامية ضبر" في باريس عام ١٩٩٠م . وتتحدث المخطوطة عن التوزيع الجغرافي لليهود اليمن، والمهن الرئيسية التي مارسوها، كذلك علاقات يهود الريف مع القبائل اليمنية.

كما استعنت أيضاً بكتب الرحالة الذين زاروا اليمن في فترات مختلفة، وقاموا بتسجيل انطباعاتهم وملاحظاتهم عنها، ومن أبرزهم:

- **نزيه مؤيد العظم** ، الذي زار اليمن عام ١٩٣٦م ، ووضع كتاباً عنوانه "رحلة في بلاد العربية السعيدة" .
- **رحلة أحمد وصفي زكريا إلى اليمن** عام ١٩٣٦م ، المدونة في كتاب بعنوان "من دمشق إلى صنعاء" .

-
- **الحوارات التي أجراها " أمين الريحاني "** أثناء زيارته لليمن في عام ١٩٢٦م مع بعض اليمنيين، ومن ضمنهم يهود صنعاء، وضمها في كتابه الشهير " ملوك العرب " .
 - **الرحلة التي قام بها الرحالة "سلفاتور أبونتي" ،** ودونها في كتاب أسماه " مملكة الإمام يحيى (رحلة في بلاد العربية السعيدة) .
 - **وأخيراً، الكتاب الذي كتبه الطيبة الفرنسية "كلودي فايان"** بعنوان " كنت طبيبة في اليمن " ، عندما عملت طبيبة لسنوات في عهد الإمام يحيى، وتناولت في كتابها جانباً من حياة اليهود وتعاملهم مع الدولة .
 - **بالإضافة إلى ذلك رجعت إلى المتاح من الكتب والمراجع المطبوعة، والدوريات المنشورة، والتي من أبرزها "مجلة دراسات يمنية" الصادرة من مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء .**

هذا وبالله التوفيق ،،،

جميلة هادي الرجوي

٢٠٠٤/٨/٣٠م

مدخل تاريخي

اليهودية أو اليهود في اللغة: التوبة. هاد يهود وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد. وفي القرآن الكريم {وَكَتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ} (الأعراف ١٥٦) أي تبنا إليك ورجعنا وقرينا من المغفرة . والتهود: التوبة والعمل الصالح، وهي اشتقاق من "هادوا" أي تابو، ويهود للقبيلة، وقيل إنما اسم هذه القبيلة يهود مُعرب بقلب الذال دالاً، والتهويد أن يصير الإنسان يهودياً، وهاد وتهود إذا صار يهودياً.

وقد وردت كلمة "اليهود" في القرآن الكريم في عدة سور منها {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابِ} (البقرة ١١٣)، كما وردت بمعنى "يهودياً" في آل عمران { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا } [آية: ٦٧] (١)

(١) الجواهري، قاموس الصحاح، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٥٥٧ .

أما عن الطريق الذي سلكته اليهودية إلى جزيرة العرب، ومن ثم جنوبها، فالمصادر تشير إلى أن هناك وجهتي نظر حول موطن يهود اليمن الأصلي، الأولى وهي الأغلب ترجعهم إلى أصول يمنية، والأخرى تفيد بأنهم هاجروا إلى اليمن في فترة من فترات تاريخها، أو في فترات متتابعة، وكانت هجرتهم من بلدان مختلفة ولأسباب متنوعة . (١)

ولا توجد كتابات بالمسند تشير إلى زمن دخول اليهودية إلى اليمن بدقة، فلم تذكر نقوش جنوب الجزيرة العربية ظهور تلك الديانة، بل إن كل ما نلاحظه هو انتقالها من تعدد الآلة إلى عبادة الإله الواحد، وذلك في نهاية القرن الرابع الميلادي، حيث يلاحظ في النقوش التي ترجع إلى القرنين الرابع والخامس الميلادي تلاشي ذكر الكثير من آلهة جنوب الجزيرة العربية لتحل محلها الدعوة لإله واحد، وبعدها حلت محلها النقوش التوحيدية . أقدمها النقش المرسوم بـ(13 bay al-ashwa) وهو مؤرخ (مو/

(١) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، شركة الرابطة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م، ص ١٧٠.

مدا/س م ي ن) أي سيدهم سيد السماء، وهي صيغة توحيدية، ويرجع النقش إلى عهد الملك "ليكرب يامن" السالف الذكر وابنيه: "أبو كرب أسعد" و "ذرا أمر أيمن"، وفي نقش لابنه "را أمر أيمن" نجد ذكراً صريحاً لليهودية يرجع إلى زمن بعد عام ٣٧٨م، أي بعد النقش المذكور السالف الذكر. (١)

وفي مقابلة مع المؤرخ اليمني "مطهر الإيراني" يقول فيها: " إن هناك نقوشاً موحدة ظهرت خلال القرن الرابع الميلادي (٣٧٠م) خلال حكم الملك "كرب يوهمنن" تذكر: الرحمن الذي خلق نفسه، الرحمن رب السموات والأرض، الرحمن خالق الحي والميت، لكن ليس في نقوشه هو شخصياً ما يدل على أنه يهودي أو معتنق الديانة. (٢)

(١) ذكرى عبد الملك مطهر، الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٢٩، ٣٠.
(٢) مطهر الإيراني، مقابلة في الجزيرة حول "يهود اليمن" بتاريخ ١٦/٩/١٤٢١هـ.

أما عن أصل يهود اليمن، وهل هم يمنيون أم مهاجرون؟
ففيها أيضاً اختلاف بين المصادر التاريخية، فبعض الكتابات
تشير إلى أنه " من الثابت وجود جماعات يهودية كبرى في اليمن
منذ القرن الثالث الميلادي، حيث كانت أحوال اليمن مزدهرة وكان
 لليهود فيها نفوذ كبير جعلهم ينجحون في تحويل الكثير من
القبائل إلى اليهودية".^(١)

وبعض المصادر يرجع دخول اليهودية إلى اليمن إلى عهد
الملك الحميري " أب كرب أسعد" أو كما اشتهر عند العرب باسم
"أسعد الكامل"، وتورد الروايات العربية قصة اعتناق "أسعد
الكامل" اليهودية فتقول:

" إن أسعد حين قفل من المشرق إلى اليمن مر بالمدينة "يثرب"
وكان قد خلف هناك ابناً له قتل غيلةً، فلما علم بذلك قرر الانتقام
بضربها واستئصال أهلها، وأخذ في محاربتهم، وبينما هو في قتالهم إذ

(١) محمد عبد الكريم عكاشة، يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين، من
(١٨٨١-١٩٥٠)، عدن، ١٩٩٣م، ص ١٨.

جاءه حبران من قريظة فتكلما معه، ودعا قومه إلى اعتناق اليهودية، كما اعتنقها هو".^(١)

وقد حدث ذلك في القرن الخامس الميلادي، وبلغت اليهودية ذروة سلطانها في اليمن عند حكم الملك الحميري " ذو نواس" في أوائل القرن السادس الميلادي، وأرغم النصارى على الدخول في اليهودية باستخدام وسائل القهر والتعذيب، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في سورة البروج في قوله تعالى: { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } [سورة البروج: ٣-٧]^(٢)

وترجح بعض المصادر القول بأن التواجد اليهودي كان في أعقاب خراب الهيكل الأول عام (٨٥٦ ق.م)، فقد هاجر قسم من

(١) ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والبحوث، ط٢، ١٩٧٥م، ص ٢٩٤.

(٢) سيف الدين آل يحيى، تاريخ البعثة العراقية العسكرية إلى اليمن، الجزء الثاني، سلسلة الثقافة العسكرية، رقم (١٩٨)، دائرة التدريب والتطوير القتالي، ١٩٨٦م، ص ١٥٢.

اليهود إلى شمال الجزيرة العربية^(١)، وبعد خراب الهيكل الثاني عام ٧٠م عندما شن "طيطوس" الروماني حرباً على اليهود في فلسطين، فاقتحم أورشليم وأعمل القتل والسلب والتدمير فيها حتى تركها قاعاً صفصفاً.

وقد ذكر المؤرخ اليهودي "يوسفوس" أن عدد قتلى اليهود زاد على المليون بالإضافة إلى من أسرههم طيطوس، والذين زاد عددهم على مائة ألف، ويقول: إنه نزح عدد كبير من اليهود إلى قبرص ومصر والقيروان والحجاز، ولم يبق منهم إلا شردمة ضعيفة. (٢)

أما الحوار الذي أجراه نزيه مؤيد العظم مع كبير حاخامات اليهود في اليمن ويدعى "يحي إسحاق"، فيؤكد قائلاً: "إن اليهود

(١) كاميليا أبو جبل، يهود اليمن، دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، دمشق، دار النمر للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص ١٦.

(٢) محمد علي المجذوب، المستوطنات اليهودية، القاهرة، دار النهضة، ١٩٧٥م، ص ٣٩، ٣٨.

اليمنيين ليسوا من سكان اليمن الأصليين، ولكنهم أتوا من أرض كنعان قبل أن يتشتت شملهم في القدس، وقد جاءوا مهاجرين عبر طريق الشرقية^(١).

إلا أن "مطهر الإيراني" يؤكد في حديثه أن يهود اليمن هم من أصول يمنية، وإذا وجد مهاجرون فهم قلة قليلة، أما غالبيتهم فهم يمنيون ظهرت فيهم تأثيرات الرسالتين السماويتين اليهودية والمسيحية بداية من القرن الرابع الميلادي، كما تظهر ذلك نقوش المسند اليمنية^(٢).

مما سبق يتبين لنا اختلاف المصادر التاريخية في تحديد زمن التواجد اليهودي في اليمن، وهل هم يمنيون أصليون أم مهاجرون؟

ويمكننا القول: بأن يهود اليمن ليسوا جميعهم يمنيين أصليين، بل منهم من هاجر إليها حاملاً ديانته وهم القلة - ومنهم من

(١) نزيه مؤيد العظم، رحلة في بلاد العربية السعيدة، القاهرة، عيسى الحلبي، ١٩٣٧م، ص ١٤١.

(٢) الإيراني ، حوار مع الجزيرة، مرجع سابق.

اعتنق اليهودية وهو على أرضه اليمينية، وهم الغالبية، كما يُرجح أيضاً أن تكون أرض كنعان أو فلسطين هي الموطن الذي هاجر منه هؤلاء اليهود .

لم تطرأ تغييرات جذرية على أوضاع اليهود في اليمن حين بعثة النبي ﷺ ، ففي عام ٦٢٨م، وصلت جيوش الرسول ﷺ إلى اليمن، وأعطى كتاب أمان لليهود، خيرهم بين الإسلام أو دفع الجزية، وسمح لهم بممارسة حياتهم الدينية وشعائهم كالمعتاد، مقابل دفع الجزية مرة واحدة في السنة، وعلى الذكور البالغين فقط^(١).

وقد كفلت الدولة لهم بعد ذلك حرياتهم كاملة يمارسون شعائهم وطقوسهم، ولا يتدخل أحد في شئونهم، والذين اعتنقوا الإسلام اعتنقوه باختيارهم وليسوا مرغمين ولا مجبرين، والذين بقوا على دينهم كانوا يتمتعون بحرية كاملة، وكانت الأعباء الملقاة عليهم أقل من الأعباء الملقاة على المواطنين الآخرين.^(٢)

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٨، ١٩.

(٢) مطهر الإيراني، مرجع سابق .

إن الروح الإسلامية تتجلى في تلك التسمية التي أطلقها المسلمون على أولئك الذين تقرر أن يدفعوا الجزية، فعرفوهم باسم "أهل الذمة"، كي يتذكر المسلمون وحكامهم بأن هؤلاء في كفالتهم وعهدهم، ذلك أن الدولة الإسلامية قد أعطتهم عهداً يأمنون به على أموالهم وأعراضهم ودينهم . (١)

ووفقاً للتعاليم الإسلامية، حرص حكام ورؤساء اليمن ورؤساء القبائل على ضمان حسن معاملة الطائفة اليهودية، وجعل حياة الطائفة أفضل كثيراً من حياة يهود أوربا المتسمة بالاضطهاد ومحاكم التفتيش، بسبب الوظيفة الاجتماعية التي كانوا يمارسونها هناك، في الوقت الذي نجد فيه الطائفة اليهودية اليمنية وبمجرد أدائها للجزية المقررة، لديها حرية العيش والإقامة والعبادة . (٢)

ويذكر " كارستين ينبور " وهو أول أوربي زار اليمن عام ١٧٦٠م، أن المجتمع اليهودي كان ميسوراً أو ثرياً، وقد عمل

(١) عبد الكريم عكاشة، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٢) جمعية ناطورية كارتا، يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية، مجلة دراسات يمنية، ص ١٤٥.

أفراده على تقديم خدمات خاصة للسلطات الحاكمة، كما كان لهم شأنهم في إدارة الدولة والاقتصاد، وعمل الكثير منهم في الشئون المصرفية، وصناعة الأدوات الزراعية، وصناعة الفضة والحلي، ونتيجة لعمل اليهود في المجال الحرفي، تكون لديهم ميل طبيعي بالنزوح إلى المدن الكبرى خاصة مدينة صنعاء مقر الحكم الرئيسي، وهذا يقره انخراطهم في الحياة الاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في اليمن آنذاك. وقد لعب اليهود اليمنيون دوراً في التجارة الخارجية بين أسبانيا والهند.^(١)

كما قام التجار اليهود بإقامة صلات مع يهود فلسطين ومصر، بهدف تعزيز موقعهم التجاري وترويج بضائعهم في كل من مصر وفلسطين، وقد مارس اليهود التجارة بين البحر المتوسط والهند عن طريق عدن، وعرف عنهم استيرادهم للتوابل والعمور والحريز من الهند، وكان نقيب التجار ويدعى "مضمون

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٢٢، ٢٣.

يافت" يملك سفناً لاستيراد البضائع، خاصة البورسلان، والخزف،
من الصين، وبيعه في مصر واليمن.^(١)

وفي عهد الإمام يحيى الذي تولى الحكم بعد أبيه الإمام
المنصور عام (١٩٠٤م) في ظروف سياسية بالغة التعقيد،
شهدت اضطرابات وحروب وصراعات بين الإمام والعثمانيين من
جهة، وبينه وبين شيوخ القبائل الطامعين بالإمامة من جهة ثانية
وذلك عن طريق تجسيد الدولة المركزية. واستمر الحكم العثماني
حتى عام ١٩١٨م، وقد تأثر يهود اليمن أسوة بغيرهم من سكان
اليمن بأوضاع تلك الفترة التي شهدت تغيرات سياسية واقتصادية
 واجتماعية نتيجة انتفاضات الشعب اليمني للخلاص من الحكم
العثماني.

ولعل أخطر تلك الأزمات كانت بين الأعوام (١٩٠٣-
١٩٠٥م) التي شهدت انهياراً اقتصادياً أدى إلى حدوث مجاعة
تأثر بها اليهود كغيرهم من سكان اليمن وبعكس ما يدعي المؤرخ

(١) كاميليا أبو جبل، المرجع السابق، ص ١٩.

الصهيوني "إسرائيل يشيغاهو" لم تنشأ عن تلك المجاعة هجرة إلى فلسطين بل نجح حوالي (٥٠٠) من يهود صنعاء في الوصول إلى عدن والاستقرار فيها، كما وصل بعضهم إلى مصر عن طريق قناة السويس بحثاً عن العمل، ولا يمكن الحديث عن هجرة يهود اليمن إلى فلسطين على أساس سياسي إلا بعد قيام الصهيونية السياسية، وبعد تشكيل مكتب فلسطين من قبلها في "يافا" (١٩٠٨م) الذي اقترن نشاطه الهادف إلى تهجير يهود البلدان العربية، ومن ضمنها يهود اليمن، بدعم كامل من قبل القوى الاستعمارية خصوصاً بريطانيا، التي تعتبر بحق صاحبة مشروع استيطان فلسطين. (١)

ويذكر "وينر" أن الأئمة شعروا بالأسف لمشاهدة الغالبية العظمى من يهود اليمن يغادرون إلى دولة إسرائيل الناشئة فيما بين (١٩٥٠-١٩٥١م) خاصة وأن اليمن برحيلهم فقدت الكثير من الحرفيين المهرة، الذين تميزوا بإتقان الأعمال المعدنية

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٢٧، ٢٨.

والمصوغات ، وبعض أنواع التطريز، وزخرفة النوافذ، وحرف أخرى تطورت على أيديهم.^(١)

أما بالنسبة لتعداد يهود اليمن، فبرغم ما عرف عنهم من زواج مبكر، وارتفاع نسبة المواليد، إلا أن معدل الزيادة الطبيعية منخفضة مثل سائر سكان اليمن، وهذا بالطبع يرجع إلى الظروف القاسية التي كان يعيشها أو يعاني منها المجتمع اليمني بعاملته، الأمر الذي جعل منهم جماعة صغيرة داخل المجتمع بعد أن كانت الديانة اليهودية هي السائدة في عهد الدولة الحميرية، ومنذ سقوط الدولة الحميرية بغزو الأحباش لليمن وظهور الإسلام، أصبحت أعداد اليهود تتقلص وزاد في تقلصها فتح باب الهجرة إلى فلسطين.^(٢)

(1) Manfred.w.Wenner: modern yemen n.(1918-1966) the johns,hopkins,press.p.37

(٢) أمة السلام جحاف، التربية اليهودية في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م، ص ١٥.

وقد اختلفت المصادر حول عدد السكان اليهود الموجودين في اليمن قبل الهجرة، فمنها ما يشير إلى أن عددهم لم يكن يتجاوز (٦٠-١٠٠) ألف نسمة.^(١)

ويقدر بعض المؤرخين عدد يهود اليمن فترة حكم الإمام يحيى بنحو (٦٠-٧٠) ألف نسمة.^(٢)

وفي عام ١٩٢٤م قام الرحالة أمين الريحاني برحلة إلى اليمن ، وقدر عدد اليهود فيها بنحو عشرين ألفاً منهم ستة آلاف في صنعاء.^(٣) حيث يوجد أكبر تجمع يهودي في اليمن، كان جميعهم يقطن في قاع اليهود ضمن ساحة غرب العاصمة، والتي تعرف اليوم بقاع العلفي.^(٤)

(١) أحمد قائد الصايدي، حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣م، ص ١٨.

(٢) Clayton, G; An Arabian Diary, C.U.P, 1969, pp (228-229).

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، الجزء الثاني، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٨٣م، ص ١٢٠.

(٤) عباس الشامي، يهود اليمن قبل الصهيئة وبعدها، سلسلة كتاب المسيرة اليمانية، صنعاء، ١٩٨٨م، ص ٣٩.

إلا أن أريك ماركو" في كتابه " اليمن والغرب " ، يتفق مع الرأي القائل أن عدد اليهود في تلك الفترة لم يكن يتجاوز (٦٠ - ٧٥) ألف نسمة.^(١)

ويتفق مع ماركو في نفس الرأي "مانفرد وينر" في كتابه "اليمن الحديث"، إذ يؤكد أن المفكرين الأوروبيين الذين درسوا توزيع اليهود في اليمن قد قدروا عددهم ما بين (٦٠ - ٧٥) نسمة، أما الآن فإن أعدادهم لا يحتمل أن يزيد عن (١٣٠٠) نسمة.^(٢)

ونستنتج من ما سبق أن عدد اليهود في اليمن خلال فترة الدراسة تراوح ما بين (٦٠ - ٧٥) نسمة، طبقاً لأغلب الآراء والتقديرات التي أشرنا إليها.

(١) أريك ماركو، اليمن والغرب، تعريب: حسين عبد الله العمري، ص ١٣٥.

(2) Wenner: Op. Cit., p.37.

الفصل الأول

علاقة اليهود بنظام الحكم اليمني



الفصل الأول

علاقة اليهود بنظام الحكم اليمني إدارياً وقضائياً

أولاً : ضريبة الجزية:

يتحدد الوضع القانوني لليهود اليمن باعتبارهم أهل ذمة، فقد حددت الشريعة الإسلامية الوضع القانوني لهم، وبيّنت حقوقهم وواجباتهم منذ عهد الرسول ﷺ، وهو أول من طبق عملياً قواعد نظام أهل الذمة على النصارى واليهود في الجزيرة العربية، بفرض الجزية عليهم، والجزية هي في مقابل الحماية، حيث تعهد المسلمون بالحفاظ على أرواح السكان وأموالهم وإعفائهم من الخدمة العسكرية، وفرضت على الذكور والبالغين من أهل الذمة، ولم تفرض على النساء والأطفال والشيوخ.^(١)

وتحت حكم الأئمة كان اليهود تفرض عليهم "الجزية"، والتي كان تحصيلها هو المهمة الأساسية لكبير حاخامات اليهود دون إبداء أي امتعاض من هذه الجزية، وكان اليهود تحت حكم الإمام يحيى قانعين غير متذمرين، لأن الإمام لم يساو بين جميع أعضاء الطائفة في

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٣٣.

دفعها، بل أخذ بمبدأ السن ومبدأ الوضع الاقتصادي، فهي بالنسبة للسن لا يدفعها إلا من تجاوز عمره الثالثة عشر، وبالنسبة للوضع الاقتصادي فقد ميز الإمام أعضاء الطائفة من حيث حالتهم المعيشية ومكانتهم المادية، فكان المتوسط الإجمالي الذي يدفعه كل من الفقير ومتوسط الدخل والغني في سنة واحدة ما مقداره ستة ريالات ونصف فقط. (١)

وقد أصدر الإمام يحيى عقب تسلمه الحكم في صنعاء عام (١٩٠٤م) بياناً نظم فيه إجراءات جباية الجزية من يهود اليمن، حيث كانت المسؤولية تقع على رئيس الطائفة اليهودية الذي كان بدوره يدعو رؤساء الحارات إليه لكي يسلموا له القائمة الجديدة، وما هو وضع الرجال اليهود البالغين من الناحية الاقتصادية، ومن منهم انتقل إلى درجة أدنى أو متوسطة أو عليا. وكان على العاقل (رئيس الحارة) أو رئيس الكنيس، تقديم قائمة ممهورة بالختم وتوقيع لجنة الحارة مصدقة من قبل الحاخام الرئيسي، الذي انتخب من اليهود أنفسهم، والموافق عليه من قبل الإمام،

(١) عكاشة، مرجع سابق، ص ٧٥.

وكان الحاخام الرئيسي هو المسئول عن تقديم دفتر الجزية إلى المالية، وهو المسئول كذلك عما يحتويه دفتر الوقائع هذا.^(١)

وعُيِّنَ خلال حكم الإمام يحيى مجموعة من الحاخامات ليكونوا بمثابة مسئولين أمامه عن مجتمعاتهم، وكذلك كانوا مسئولين عن جمع ضريبة الجزية في جميع أنحاء اليمن، فكان منهم الحاخام "إسحق هاليفي" رئيس الحاخامات في اليمن، الذي استمر في منصبه حتى وفاته عام (١٩٣٢م). وجاء بعده الحاخام "يحيى الأبيض" واستمر حتى عام (١٩٣٥م)، ومن بعده تسلم هذه المهمة الحاخام "سعيد الجمل" الذي بقي يشغل هذا المنصب حتى عام (١٩٤٤م). وفي رأس كل سنة كان الحاخام المسئول عن يهود صنعاء يحصل على أمر من الإمام لتحضير الجزية المفروضة على الرجال اليهود البالغين. ومثال على ذلك هذا الأمر الصادر سنة (١٣٥٦هـ):

(١) المركز الوطني للوثائق، كشف تحصيل الجزية، رقم (١)، بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٣٥٨ هـ .

" بسم الله الرحمن الرحيم، نأمر سالم سعيد الجمل بتعداد الذميين الموجودين في قاع يهود صنعاء لهذه السنة (٥٦ هـ) وتحرير دفتر العدد، وإثبات الطلائع بعد التحري على الأصناف الأعلى والأوسط والأدنى، وإرسال الدفتر بعد تنظيمه إلى المحاسبة في أقرب وقت من دون تساهل، وليكون عرض هذا على البوابين لمنع من يريد إلا بعد تسليم جزيته لئلا يبقى أي عذر ويكون التحري التام على الأصناف" (١).

والجدير بالذكر أن هذا النظام كان معمولاً به في جميع أنحاء اليمن سواء كان التجمع اليهودي كبيراً أو صغيراً في المدن وفي الأرياف، وهذا النظام هو نظام أخذه الإمام يحيى عن العثمانيين. (٢)

وقد حددت الدولة قدر الجزية التي يدفعها الفرد اليهودي المكلف والبالغ وبحسب دخله السنوي على النحو التالي:

(١) وثائق الجمل، كتاب "الجزية في اليمن" نقلاً عن كاميليا أبو جبل، ص ٣٧.

(٢) محمد عكاشة، مرجع سابق، ص ٧٦.

١- ريال إلا نصف (١٦/١٥ ريالاً): لمن دخله السنوي أقل من ١٦ ريالاً (الريال يعادل مائة فلس حالياً، وأربعين بقشة سابقاً).

٢-ريالان إلا نصف (١٦/١٥ ريالاً): لمن دخله أقل من (٦٠٠ ريالاً).

٣-أربعة ريالات إلا ربع (٣٤/٣ ريالاً): لمن دخله السنوي (٦٠٠ ريالاً).^(١)

ويلاحظ أن هذه النسب المحددة في النظام السابق تعتبر نسبياً ضئيلة إذا ما قورنت بالرعية والخدمات التي تقدمها الدولة للمجتمع اليهودي، وكذلك مقارنة مع ما يقدمه الفرد المسلم للدولة من الزكوات والضرائب الأخرى بالإضافة إلى تحمله عبء الخدمة العسكرية.^(٢)

(١) أحمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، بيروت، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٨٢.

(٢) زيد محمد حجر، أوضاع يهود صنعاء الاجتماعية، مجلة دراسات يمنية، العدد ٤٦، ١٩٩٢م، ص ١٧٥.

ولقد أكد عدد من الكتاب عن حالة الرضا والارتياح للطائفة اليهودية عن هذه الجزية، فهذا أمين الريحاني يقول:

".. أما اليهود فهم راضون بهذه الحال، هم راضون شاكرون ما دامت الجزية تخلصهم من التجنيد".^(١)

وكان عقال اليهود والمسئولون عن جباية الجزية يسقطونها عن العميان والقصر والعجز والفقراء جداً، وإذا لم يسقطوها كان الذميون يتجهون مباشرة للإمام يحيى لإسقاطها.

وكان كل يهودي يعرف جيرانه بدقة، ويعرف وضعهم الاقتصادي ومستوى الجزية التي يمكن أن يدفعوها، ولم يكن هناك إمكانية للتستر على أحد من بين المفروض عليهم دفع الجزية، الشيء الذي سهل على الحاخام مهمة الجباية بشكل جماعي.

وعندما يشعر أحدهم أنه يدفع جزية لا تتناسب مع وضعه الاقتصادي كان يتقدم بشكوى إلى الإمام طالباً رفع الحيف الذي لحق به^(٢).

(١) أمين الريحاني، مصدر سابق، ص: ٣٨.

(٢) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٣٨.

وجاء في إحدى الوثائق: " إن الإمام تدخل لصالح الذمي
"يحي هارون حداد" المقيم في "مدر ناحية أرحب" ، وأنزل
جزئته بعد التدقيق من الصنف الأعلى إلى الأوسط".^(١)

ثانياً: القضاء

خضع اليهود في اليمن إلى نظام قضائي خاص بهم، وهناك
أربع درجات لهذا النظام القضائي: اثنتان منهما للمحاكم
اليهودية:

- المحكمة المحلية في التجمعات اليهودية الصغيرة .
- المحكمة المركزية في صنعاء، والتي كانت أحكامها سائرة
على اليهود في جميع أنحاء اليمن.

إضافة إلى محكمة إسلامية متخصصة في شئون اليهود تمثل
سلطة الدولة، والدرجة القضائية الرابعة هي ما يمكن أن نسميها
بسلطة الأعراف والتقاليد الصادرة عن شيخ البلدة، سواء انتمى
إلى الزيدية أو الشافعية. وكانت أحكام المحكمة اليهودية في

(١) وثائق سعيد الجمل، نقلاً عن كاميليا أبو جبل، ص ٣٨.

صنعاء هي المرجع الرئيس المخول في الفصل بالنزاعات بين اليهود من أي نوع كانت. (١)

وقد قامت الدولة المتوكلية بتأسيس هذا الجهاز الإداري القضائي برئاسة القاضي " لطف الزبيري" ومهمته النظر في مشاكل اليهود وفض المنازعات التي قد تنشأ بينهم، إلا أن اليهود كانوا يفضلون حل نزاعاتهم وقضاياهم فيما بينهم بمساعدة رجال دين منهم، والذين كانوا يلعبون دوراً كبيراً في حل مشاكلهم، وتسيير أمور جماعتهم بأنفسهم دون اللجوء إلى الجهاز الإداري والقضائي للدولة. (٢)

ومع ذلك لم يكن القضاء اليهودي في اليمن منفصلاً بشكلٍ مطلق عن المحاكم الإسلامية، حيث كانت تعرض على تلك المحاكم كافة الحالات المتعلقة بالحق العام، والادعاءات التي يقيمها المسلمون ضد اليهود أو اليهود ضد المسلمين. ولها أيضاً درجتان، بحيث كانت تعرض الحالات البسيطة على شيخ البلدة

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) أمة السلام جحاف، مرجع سابق، ص ٦٤.

في التجمعات الصغيرة، في حين كانت تتولى المحكمة المركزية في صنعاء الحكم في الحالات الأصعب. (١)

إن المحكمة الإسلامية لم تكن عبئاً على يهود اليمن، ولا انتقاصاً من المسؤوليات القضائية للمحاكم اليهودية؛ لأن غالبية الأحكام الصادرة عن المحكمة الإسلامية المتخصصة في الشؤون اليهودية كانت منصفة وأنصفت اليهود في النزاعات المثارة أمامها سواء كانت هذه النزاعات بين اليهود أو بين اليهود والمسلمين. وهناك نماذج وأمثلة لهذه القضايا التي أنصف فيها اليهود من المسلمين، وهي أمثلة تتنافى مع ما ذكره بعض المؤرخين الصهاينة من أن يهود اليمن لاقوا صعوبات في الادعاء ضد المسلمين. (٢)

ونورد هنا بعض هذه النماذج:

وفقاً للوثيقة التي تحمل رقم (٦٢٦) في مجموع الوثائق التي حملها سعيد الجمل معه إلى القدس، وجمعها في كتاب مكون من

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢) نفسه، ص ٥٠.

جزأين تحت اسم (اليهود والملك) جاء فيها أن الإمام يحيى أصدر مرسوماً أمر بموجبه بتسريح القاضي المسلم الذي حكم بقطع يد الشاب اليهودي ووضعه تحت الحجز في المنزل إضافة إلى اعتقال نائب قائد الشرطة في سجن القلعة".

وفي حالة أخرى تمكن الحاخام "سالم سعيد الجمل" من مقاضاة الإمام يحيى نفسه أمام القضاء حول قطعة أرض كان قد اشتراها من الإمام طبقاً لمقاييس البيع والشراء والتقدير الرسمي للقيمة. وبعدها ينوف عن الشهرين من حفر الأساسات وتهيئة الأرض لبناء المحلات التجارية، جاء الجند إلى الجمل يطلبون منه الذهاب لمقابلة الإمام، وهناك أظهر له الإمام وثيقة تتضمن طلباً من يهودي يرغب في شراء نفس قطعة الأرض، مدعياً إن هناك إجحافاً في تقدير قيمة الأرض وعرض دفع خمسة أضعاف المبلغ الذي دفعه الجمل، وكانت حجة الإمام يحيى أن موقعها في مركز المدينة يفرض بيعها بالمزاد العلني، ويعترف الجمل أن الإمام لم يستغل سلطاته لمنعه من إقامة هذه الدعوى، وبعد

عرض القضية على القضاء اليمني، حكمت المحكمة لصالح
الجمال وريح القضية.^(١)

وكان إذا حدث اعتداء من أحد المسلمين على اليهود، صاح
اليهودي على ملاً من الناس وبأعلى صوته: " أنا في ذمة
الإمام" إذا كان قرر رفع الشكوى لدى الإمام، أما إذا كان قد عزم
أن يلوذ في حماية العامل (المحافظ) فيصيح: " أنا في ذمة
سيدي فلان"، وعندئذ يذهب اليهودي إلى حيث يدفع شكواه
لمقاضاة غريمه، وعلى هذا الغريم أن يرافقه حتماً من غير حاجة
إلى الشكليات والروتين ومضيعة الوقت وضياع الحقوق، ولن
يستطيع المشتكى عليه أن يتخلف أو يتأخر عن حضور
المحاكمة لأنه إن فعل ذلك جرد " العامل" مفرزة من العساكر
العاملين تحت إمرته، فيذهب هؤلاء إلى دار المشتكى عليه،
فيعسكر قبالة داره يوماً أو يومين أو أكثر يكون المشتكى عليه
ملزماً بإطعامهم وإسقاؤهم وصرف يومياتهم، حتى يقرر العامل
رفع هذا الكابوس اللعين عن ديار المشتكى عليه والأمر بإحضاره

(١) وثائق سعيد الجمال (اليهود والملك) نقلاً عن كاميليا أبو جبل،
ص ٥١،٥٠.

للمحاكمة، فضلاً عن احتمال تشديد العقوبة عليه بسبب التخلف أو التأخر.^(١)

ومن القصص الظريفة التي تعكس مدى الاهتمام من الدولة بإعطاء الحقوق إلى أصحابها، بغض النظر عن جنس أو دين، والتي يرددها الكثير من الآباء الكبار في صنعاء لأولادهم وأحفادهم، كما جاءت على لسان الوالد العزي "صالح السنيدار" القصة التالية :

" أن رجلاً ماراً بالسوق قام باختطاف رغيف من الخبز لأحد الباعة اليهود وفر هارباً، فاشتكى اليهودي أمره في الحال إلى الإمام، فأصدر أمره في الحال بالتفتيش عن الجاني والقبض عليه، وبعد وقت طويل وُجد الخاطف مختفياً في "سمسرة وردة" * ولما علم الإمام بمحاولة إخفائه، أُنذر صاحب السمسرة بتعريضها للهدم إن لم يكشف عن الجاني، وبعد أن بلغ صاحب السمسرة بالأمر سلم

(١) سيف الدين آل يحيى، البعثة العسكرية العراقية، مصدر سابق، ص ١٥٥.
(* " خان " وهو مكان صغير في صنعاء بالقرب من باب اليمن، وقد حول الآن إلى متحف ومعرض لبيع المشغولات اليمنية القديمة بمختلف أنواعها الفضية والنسجية.

الجاني إلى جند الإمام "العكفة" الذين أوكل إليهم البحث وأودع
الجاني سجن القلعة بصنعاء".^(١)

أما إذا حدث اعتداء على أي يهودي في مناطق القبائل والتي
يكون فيها اليهود بعيدين عن مركز الحكم في صنعاء، فإن الأمر
يوكل لشيخ القبيلة أو كبيرها في إعادة الحقوق لأصحابها بغض
النظر أكان صاحب الحق مسلماً أم يهودياً .

ويورد حليم حبشوش صاحب كتاب "رؤية اليمن" قصة حدثت
في قبيلة "نهم"^(*)، وهو أن يهودياً من نهم من جيران بني
معصار، كان خارجاً ببضاعته من صنعاء، فتعرض في طريقه
إلى عملية سطو ونهب، فاستجار بجاره النقيب ابن معصار،
فقال له: مالك تصيح؟ فقال: الجرادي تعرض لي وسلبني وضربني،
وأنا آمن بأمان الله وأمانك يا جاري". فقال له النقيب: لا تخاف، إني
أسلم لك جميع ما راح منك. فجمع قدر خمسمائة من أصحابه في

(١) زيد محمد حجر، مرجع سابق، ص ١٧٥، ١٧٦.

(*) قبيلة نهم: بكسر النون وسكون الهاء، قبيلة مشهورة من قبائل بكيل، سميت
نسبة إلى: نهم بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعيب بن دومان بن
بكيل. وتقع في الشرق الشمالي من مدينة صنعاء، وهي إحدى مديريات محافظة
صنعاء. إبراهيم المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ٢ ص ١٧٦٩.

نفس اليوم، وغزى بهم على الجرادي في تلك الليلة، فهرب الجرادي هو وأصحابه إلى بلاد خولان واستجار بهم، فدخل ابن معصار دار الجرادي، وأخرج مال اليهودي ونهب الدار، بل وقام بخرابها، وأرجع لليهودي ماله وعتاده.^(١)

ونستنتج من هذه الحادثة أن الأعراف القبلية اليمينية وفرت لليهود الحماية والأمان كأى فرد من أفراد القبيلة .

وقد شاع عن الإمام يحيى تعاطفه الشديد مع المجتمع اليهودي، والدفاع عن حقوق اليهود المشروعة، والوقوف بحزم وشدة ضد من يعتدي على أي يهودي بدون وجه حق داخل صنعاء أو خارجها، ففي حادثة سطو تعرضت لها قافلة يهودية، أصدر الإمام يحيى عام (١٩٢٨م) أمراً حازماً لجميع القبائل بعدم التعرض لأي يهودي بأذى، وأعطى مهلة عشرة أيام لإحضار اللصوص الذين تعرضوا للتجار اليهود والبضائع المسروقة، وتم هذا بالفعل وأدخل الجناة السجن.^(٢)

(١) حاييم حبشوش ، رؤيا اليمن، مخطوط مطبوع، تعريب سامية ضبير، بيروت دار الفكر المعاصر، ١٩٩٢م، ص ٢٧.

(٢) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٥٣.

إلا أن هناك من الكتاب الأجانب والعرب من يرى أن اليهود في اليمن كانوا مواطنين من الدرجة الثالثة، خاصة بعد عام ١٩٢٢م، حينما أصدر الإمام يحيى مرسوما خاصا بهم، جاءت بعض بنوده متناقضة مع جو التسامح الديني الذي كان قائما في العلاقة بين اليهود المسلمين، فبموجب تعليمات الإمام هذه كان على اليهود أن يتزوا بزوي خاص، وأن لا يرفع اليهودي صوته على مسلم، ولا يناقشه في دينه أو يهزه به أو يتعداه على الطريق، وكان عليه أن لا يمارس طقوسه الدينية إلا متخفيا وفي حيه الخاص، وأن يركب من الدواب الحمير، ولا يمارس عملا تجاريا أو سياسيا يضر بمصلحة البلاد، وأن لا يحمل سلاحا ولا خنجرا، وألا تتجاوز بيوتهم الطابقيين^(١). ويرى ابن دغر أن يحيى ربما أراد من هذه الضوابط منع احتكاك مباشر بين الأغلبية المسلمة والأقلية اليهودية^(٢).

(١) ادجار أوبلانس، مرجع سابق، ص ٤٧، وكذلك، أحمد عبيد بن دغر، اليمن تحت حكم الإمام يحيى (١٩٤٨-١٩٦٣م)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥م، ص ١٥٠، أيضا، كلودي فايان، كنت طيبية في اليمن، تعريب محسن العيني، صنعاء دار الفكر، ١٩٨٥م، ص ١٠٩.

(٢) ابن دغر، نفس المرجع، ص ١٥١.

وقد جاء على لسان الحاخام اليهودي " يحيى إسحاق " الذي حاوره "نزيد مؤيد العظم" أثناء رحلته إلى صنعاء عن معاملة اليمنيين لليهود وأجاب قائلاً: "وهي على كل الأحوال أفضل من معاملة الترك، والله يحفظ الإمام أنه يدافع عنا وينصفنا ويمنع جميع التعديات علينا ويجازي كل من يتجرأ جزاءً صارماً".^(١)

وحين بويع الإمام يحيى عام (١٩٠٤م) كان من بين الوفود التي جاءت لتهنئته وفد يهودي ضم زعماء الطائفة اليهودية في اليمن، وأقام الإمام يحيى خلال تلك الفترة في مدينة الروضة القريبة من صنعاء، ثم انتقل إلى صنعاء في العام التالي (١٩٠٥م)، وخلال الأيام الأولى من عودته إلى صنعاء، وضع الإمام يحيى خمسة عشر بنداً حول جباية الجزية والسلوك العام لليهود في المجتمع اليمني، ضمنها بيان تلاه أمام الوفد اليهودي الذي جاءه مهنتاً.

ويقر الحاخام سالم سعيد الجمل أن الشروط التي وضعها الإمام يحيى شكلت نقلة نوعية إلى الأمام عما سبقها من

(١) نزيد مؤيد العظم، مصدر سابق، ص ١٤١.

ممارسات الأئمة السابقين تجاه اليهود، التي لم تخل من الإجحاف برأيه.

كما أوصى ولده أحمد في أحد مجالسه، بحسن معاملة اليهود وإنصافهم، ويمكن تفسير موقف الإمام هذا على أنه استمرار للعلاقات الوطيدة التي كانت تربط والده المنصور "محمد بن يحي حميد الدين" بزعامة الطائفة اليهودية وعلى رأسهم الحاخام "إبراهيم البديجي"، جد الحاخام سالم سعيد الجمل لأمه.^(١)

وقد حصلت على وثيقة من أيام الإمام "المنصور" يتضح من محتواها تلك المعاملة المتميزة التي عومل بها اليهود، في اليمن، والوثيقة عبارة عن صك مديونية، بين الذمي "إبراهيم بن إسحاق" من أهالي قاع اليهود، والقاضي العلامة "سعد محمد الشرفي" الذي استدان مبلغ أربعة عشر ريالاً من إبراهيم بن إسحاق، ثم سلم المبلغ كاملاً إلى ولده سليمان بن إبراهيم إسحاق، بموجب وكالة كتبها له والده، وقد سلم القاضي سعد الدين الذي للذمي

(١) كاميليا أبو جبل، مصدر سابق، ص ٥١، ٥٢.

بمجرد طلبه وبحضور الشهود. وهذا يدل على وجود التعاملات المادية بين اليهود والمسلمين، والتزام كلٍ منهم بحقوق الآخر دون إجحاف. (١)

وعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتسلم الإمام يحيى حكم اليمن مستقلاً، وجه الإمام ترحاباً خاصاً إلى الوفد اليهودي، والذي جاءه مهنتاً بتسلم الحكم في صنعاء قائلاً:

"إن هذا الذمي - وأشار إلى يهودي يدعى إبراهيم البديجي - عرفته منذ كنت صغيراً من خلال علاقته مع أبي، واعلموا يا معشر المسلمين أنه من الآن فصاعداً أعتبر كل يهودي ويهودية كما الشعرة في رأسي، ومن يسيء إليهم أنتقم منه بالدم، ولا يحق لأحد اعتراضهم، وإذا جئتم إلينا أيها اليهود حكماً لكم بشريعة الله ورسول الله".

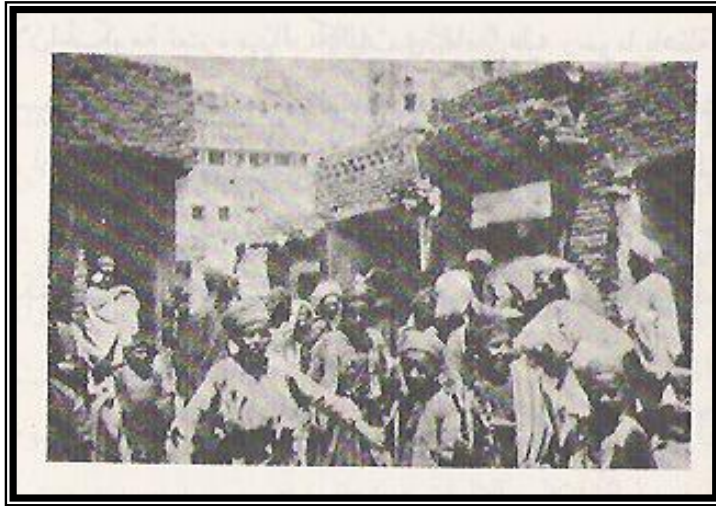
وقد سر الأخبار بما سمعوا وما أنجزوا. وتقديراً لموقف الإمام أقام اليهود في أول يوم سبت، بعد عودة الإمام إلى صنعاء الصلوات في كل الكنس اليهودية في اليمن، ودعوا له بطول العمر. (٢)

(١) وثيقة من أرشيف الأستاذ "عبد اللطيف أحمد سعد الشرقي"، حفيد القاضي سعد، بتاريخ الأحد ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ هـ .
(٢) الجمل، اليهود والملك، نقلاً عن كاميليا أبو جبل، ص ٥٣.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

ليهود صنعاء



أحد الأسواق في صنعاء عام ١٩٣٦م

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية ليهود اليمن

أولاً: الزراعة:

يكاد اليمن يكون قطراً جبلياً، لأن جباله تغطي ما يزيد على ثلاثة أرباع مساحته العامة، ومع ذلك فإذا سافر مسافرٌ من صنعاء إلى عدن، يكون دائماً بين زروع وحقوق وأشجار ومزارع وأودية قليلة المياه أو كثيرتها. (١)

والزراعة تشكل العمود الفقري للاقتصاد اليمني منذ أمٍ بعيد، وهي القطاع الرئيسي؛ نظراً لعدد السكان المشتغلين بها، ولاعتماد الدخل العام والخاص عليها^(٢). إلا أن يهود اليمن تركوا الاشتغال بالزراعة، واتجهوا نحو التخصص الحرفي والعمل بالتجارة، وفي مقابلة أجرتها مجلة "نوافذ" مع الأستاذ علي الواسعي، يؤكد فيها (ابتعاد اليهود عن العمل الزراعي) فيقول: " دور اليهود في اليمن

(١) أحمد وصفي زكريا، من دمشق إلى صنعاء، بيروت، دار العودة، ١٩٨٦م، ص ١٨.

(٢) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٧٣.

كانت لهم ممتلكات -أي بيوت ودكاكين- أما أراضي زراعية فلم يكن لهم شيء ، وكانوا محصورين في قاع اليهود الذي كان له سور يفصله عن بئر العزب. (*) (١)

ويورد الدكتور محمد عكاشة عدة عوامل لابتعاد اليهود عن الزراعة وهي:

أولاً: النظرة السلبية والقاصرة للشرائح العليا من المجتمع اليمني في العهد الإمامي إزاء العاملين في الحرف، مما أفسح المجال أمام اليهود للعمل في هذه الحرف المربحة، وخاصة أن العمل الحرفي لا يتطلب المجهودات العضلية التي تتطلبها الأعمال الزراعية، كما أن الأعباء المادية المفروضة على

(*) بئر العزب: حي يقع غرب العاصمة صنعاء الذي يضمه إليها سور يحيط بقاع اليهود، وقد تميز بئر العزب بكثرة بساتينه المثمرة للفاكهة وغيرها، وبقلة دوره، فكان بمثابة منتزه لصنعاء المكتظة بالمنازل والسكان، أما الآن فقد اكتظ هذا الحي بالمساكن، وقلت به الأراضي المزروعة إلى حد كبير، وشمله التوسع العمراني بشكل كبير بعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢م. علي الواسعي، يهود اليمن .. ماذا بقي لهم ، ص ٤٣.

(١) علي الواسعي، يهود اليمن ماذا بقي لهم، مجلة نوافذ، العددان، ٢٧، ٢٨، يونيو يوليو، ٢٠٠٠م، ص ٤٣.

الفلاحين في صورة الضرائب العديدة والمتنوعة التي كان يفرضها الإمام على المزارعين بما يتقل كواهلهم، دفع اليهود إلى الاتجاه نحو حرف ومهن يحتاجها السوق اليمني، وذات مردود مادي سريع .

ثانياً: تفضيل اليهود العمل في صياغة الذهب والفضة تطبيقاً للقول " ما خف وزنه وغلا ثمنه"، مع إمكانية نقل ما يملكون منها بسهولة في ظل حرية التنقل المتاحة لهم .

ثالثاً: وأخيراً الربح الكبير الناجم عن العمل في مثل هذه الحرف والمهن تجعل من يهود اليمن قادرين، في أي وقت وتحت أي ظروف، على شراء كل احتياجاتهم من المحاصيل الزراعية دون عناء. (١)

ومع ذلك، فإن هناك بعض اليهود الذين عملوا في الزراعة - كما أشار إلى ذلك حبشوش في كتابه "رؤيا اليمن" - وذكر فيه: " أن عدداً قليلاً من اليهود عمل في الزراعة، وخاصة زراعة العنب والتمر في بلاد أرحب، وزراعة شجرة الدر في الجوف، والنخيل في نجران، وفي منطقة درب الحنشات. ومكون اليهود ثروة

(١) عكاشة، مرجع سابق، ص ٧٢.

عظيمة، حيث امتلكوا عدة قرى كانوا يزرعونها ويحرقونها ويبيعون
إنتاجها".^(١)

ويذكر في هذا الصدد، في إحدى وثائق الحاخام سعيد الجمل التي تؤرخ لفترة الإمام يحيى، وهي الوثيقة رقم (٤١٥) والتي بتاريخ ١٤ شعبان سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م: " أنه في أواسط الثلاثينات استغلت زعامة الطائفة اليهودية الأمر الصادر عن الإمام يحيى بتشجيع الزراعة، وحث جميع السكان على زراعة كل المساحات القابلة للزراعة، فقدم الحاخام سعيد الجمل اقتراحاً إلى الإمام يحيى يتعهد فيه بزراعة نوع من التوابل وهو "قفل لا يتميز بالحدودية الشديدة" مثل النوع الهندي، وينمو بسرعة ولا يحتاج إلى مياه كثيرة، وطلب أن تكون زراعة هذا النوع بإشراف الدولة ودعمها. فحبذ الإمام الفكرة وقدم الدعم اللازم لها.^(٢)

ويمكن القول أن غالبية اليهود قد فضلوا الابتعاد عن الزراعة والاندماج في الحياة المهنية والتجارية وخاصة يهود صنعاء، وفقاً لكثير من المصادر لم تكن لهم أي نشاطات زراعية ولم يمتلكوا

(١) حاييم حبشوش، مصدر سابق، ص ٤٦.

(٢) وثائق سعيد الجمل، اليهود والملك، نقلاً عن كاميليا أبو جبل، ص ٧٧.

أي أراضٍ زراعية، وكانوا محصورين في حيهم الشهير بـ"قاع اليهود".

ثانياً: الحرف والمهن:

تشير المصادر إلى أن يهود اليمن لعبوا دوراً كبيراً في حياة البلاد الاقتصادية، حيث كانت حريتهم مكفولة، وفي أيديهم كثير من فروع التجارة والصناعة، وزاولوا مهناً مختلفة، فقد نظرت الشرائح العليا في المجتمع اليمني إلى شريحة الحرفيين نظرة يشوبها الاحتقار، وذلك تحت تأثير بعض المفاهيم التي تزدري وتحقر العمل اليدوي بوجه عام، لتدفع هذه النظرة يهود اليمن إلى التخصص في حرف ومهن كان المجتمع بأمس الحاجة إليها خاصة في ظل حالة الركود التي اتسم بها المجتمع فترة حكم الأئمة، خاصة في عهد الإمام يحيى، مما فتح الباب واسعاً أمام تسويق الإنتاج الحرفي لأعضاء الطائفة اليهودية، ومكنهم من جني أرباح كبيرة دفعهم للمزيد من التخصص في تلك الحرف والعمل على توريثها لأبنائهم^(١)، ونتيجة لذلك، عمل اليهود في

(١) عكاشة، مرجع سابق، ص ٦٨.

شبكة واسعة من الأعمال الحرفية والصناعية، وقد تميزوا في صناعتهم وأتقنوها، وحصل اليهود وحتى الزعماء الدينيون منهم، على لقمة العيش في المدن والقرى من خلال أعمالهم وصناعتهم، ويمكن القول أنه لا توجد مهنة أو حرفة لم يمارسها اليهود.

وتصنف المهن التي عملوا بها إلى عليا وهي صك العملة والذهب، ودنيا وصولاً إلى التنظيفات (مخلفات المراحيض) ^(١). ولم يكن اليهود في اليمن بوجه عام وفي العاصمة بوجه خاص يأنفون من الاشتغال بمهنة تنظيف المراحيض، وتجفيف محتوياتها ثم بيعها كوقود لأصحاب الحمامات الأهلية والعامية ^(٢). ونشير هنا إلى أهم هذه الحرف والمهن التي مارسها يهود صنعاء:

١ - صياغة الفضة والذهب:

إن ممارسة اليهود لمهنة صياغة الفضة قديماً جداً، فقد كانت قبيلة قينقاع اليهودية، مشهورة بصياغة الفضة قبل الإسلام،

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) سيف الدين آل يحيى، مصدر سابق، ص ١٥٣.

وانتشرت هذه الحرفة في زمن الرسول ﷺ. وتعتبر مهنة صياغة الفضة والذهب من أرفع الحرف بين اليهود، وعادة يمارسها الأغنياء والمتعلمون، ولا تحتاج هذه المهنة إلى رأس مال فقد انتشرت بين العائلات الراقية والغنية. (١)

وقد مارس يهود صنعاء كثيراً من الحرف، وكانت تتركز بأيديهم - تقريباً - كل صناعة الحلي والمصوغات الذهبية والفضية الرقيقة، من عقود وأساور وخواتم ودلايات وتمائم، وكان المستهلك الأول لها النساء حيث استعملتها للتزيين. وقد كان أهم موسم للصياغ اليهود هي الفترات التي تسبق الأعياد، وخاصة أعياد المسلمين، لأنهم كانوا أفضل الزبائن. (٢)

وعندما زار رجل الأعمال والسياسي الأمريكي "تشارلس كراين" اليمن عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، قام بزيارة للحلي اليهودي، وصرح أن اليهود وإن كانوا كخيرهم من المواطنين، على درجة عالية من الفاقة والفقر، إلا أنهم أحسن حالاً وأرغد عيشاً بفضل ما أوتوا من الحذق والقبض على أزمة الحرف، ولعطف الحكام. وذكر أيضاً

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٠.

أنه رأى في إحدى القرى الفقيرة جداً يهودياً كان في حالة اقتصادية جيدة قياساً على أبناء القرية المزارعين، لأنه كان يشتغل صائغاً في سوق القرية، وخاصة في صنع الخناجر المنحنية (الجنابي) التي تشتهر بين اليمينيين ويلبسونها للزينة، وقد تفنن اليهود في تزيين مقابض وأغمد هذه الجنابي، وجنوا من وراء ذلك الربح الكثير. (١)

كذلك أشار حبشوش أن قسماً من اليهود الريفيين عملوا بهذه المهنة وامتلكوا كثيراً من الورش، وخاصة في الأسواق. بالإضافة إلى وجود مجموعة منهم عملوا صياغاً متجولين، يظلون أشهراً طويلة بعيدين عن عائلاتهم، ينتقلون بين المدن والقرى، لبيع بضاعتهم وعرضها على العائلات المسلمة، وخاصة في المواسم، وهي الفترات التي تسبق الأعياد. (٢)

ويذكر "تزيه مؤيد العظم" الذي زار اليمن، ومرّ بدكاكين الصياغ، والذين يكاد معظمهم يكون حكرًا على اليهود، حيث يبيعون صياغتهم بالوزن، ويصنعون حلياً للأذنين والساعدين

(١) حسين العمري، اليمن والمنار، ص ١١٦.

(٢) حبشوش، مصدر سابق، ص ٦٣.

والمعصم والأرجل، وكلها لها أسماء خاصة، فمثلاً الأساور،
يسمونها (بلازق)، والخواتم (مداور).. الخ. كذلك كانوا ينوعون
في نقوشها، فقسم عمل بالنقشة التركبية، وقسم آخر عمل بالدقة
الكريمة التي تتناسب القبائل. ويصف " العظم " تلك الأنواع من
المصوغات فيقول:

" الحق يقال إن بعض هذه المصوغات جميل جداً وعليها نقوش لم
أشاهد مثلها في الشام ومصر، وجميعها مصنوعة من الفضة،
وبعضها مطلية بماء الذهب، ورأيت العمال إلى جانبي يصبون بعض
الحلي صباً بقوالب خاصة، ويشتغلون بعضها شغلاً باليد ويحفرونها
أشكالاً غريبة، ورغم ضخامتها فإن عليها مسحة من الجمال قلما
يراهها الإنسان في المصاغات الحديثة في البلاد المتمدنة. (١)

٢- صك النقود:

تعتبر مهنة صك النقود من أكثر المهن خطورة ومسئولية،
حيث كان يقوم بهذه المهنة بعض صياغ الفضيات، وقد اتخذ
أئمة اليمن لهم بعض الصياغ ليقوموا بصك النقود لهم، وأشار

(١) نزيه مؤيد العظم، مصدر سابق، ص ١٤٩.

حبشوش أنه حدث أن تلاعب اليهود مرة بسكب الفضة، فقامت السلطات بجمع الصياغ، وساقتهم للسجن بدعوى أنهم غشوا المسلمين، وحكم عليهم بجزاء مقداره (٢٢٠٠ ريال). وبعد تلك الحادثة بدأ الصياغ يصنعون ختم "الخليفة" على قطع النقود وإضافة اسم الصائغ، ويكون مسئولاً حتى لا يحصل أي تلاعب.^(١)

واستمر اليهود في عملهم بصك النقود طيلة فترة الإمام يحيى، واعتمد عليهم كلياً بهذه المهنة، وقد أعطاهم الإمام حق امتياز صك العملة النقدية النحاسية للدولة (البقشة) وأجزائها، فكان يعطيهم كمية من النحاس ويستلم مقابلها وزناً بوزن.^(٢)

وأشار الحاخام الجمل عندما أصبح مسئولاً عن أمور الطائفة اليهودية أنه استطاع الدخول إلى قصر الإمام يحيى، وبالتحديد إلى دار الصك ليطلب من اليهود الذين يعملون هناك تسديد جزيتهم، وحاول الحارس منعه من الدخول إلى دار الصك، مما

(١) حاييم حبشوش مصدر، سابق، ص ٣٢.

(٢) أحمد عبيد بن دغر، اليمن تحت حكم الإمام أحمد، ص ١٥١.

يشير إلى أن هذه الصناعة كانت تحاط بسرية تامة وليس بمقدور كل إنسان الدخول إلى هناك.^(١)

٣- النجارة:

عمل قسم من يهود اليمن بمهنة النجارة، وخاصة نجارة النوافذ والأبواب، وصناعة العقود الجبسية بقطع الزجاج الملون التي تعكس أشعة الشمس. والواقع أن أفخم العقود الجبسية في قصور الإمام يحيى وأولاده وسادة رجال دولته هي من صنع اليهود، وما زالت صنعا تحتفظ إلى اليوم بتلك العقود من صنع اليهود، وخير مثال عليها عقود فندق دار الحمد بصنعا.^(٢)

ويذكر الجمل في إحدى وثائقه، أن يهودياً وهو "إبراهيم العروسي" كان يعمل نجاراً في مقاطعة البستان، ونفذ عملاً لم يكن مطابقاً للمواصفات المتفق عليها بينه وبين المدعي، فقدم مسؤول الطائفة إلى الحاخام الجمل، واتفق المدعي والمدعي عليه مقدماً، أنه إذا توصل الحكمان إلى أن العمل المنفذ كان

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٢) سيف الدين آل يحيى، مصدر سابق، ص ١٥٥.

جيداً فالمدعي سوف يدفع أجرة الحكمين، وإلا فسيدفع المدعي عليه لهما فحص العمل، وتبين فعلاً أنه متدنٍ وغير مطابق للمواصفات، وقررا أن العمل يحتاج إلى تصليحات من قبل خبير، فحكم الحاخام الجمل أن يدفع المدعي عليه للمدعي مباشرة أو يستأجر خبيراً لإجراء الإصلاحات المطلوبة، وطلب النجار إصلاح العمل بنفسه، وأنه إذا كان العمل بعد التصليح غير جيد فيلتزمه لنفسه، وسيدفع النقود لمن يعمل نفس القطعة للمدعي، وأخيراً تم التوصل إلى حل ملائم، بمساعدة الجمل.

ويتبين من هذه الوثيقة أن هناك شروطاً واتفاقات تعقد ما بين النجار وزبائنه، وعلى النجار الذي لا يلتزم بكافة الشروط أن يتكفل بالتصليح. أي أن هناك عقوبات مهنية واضحة.^(١)

٤ - الخياطة والتطريز:

لم تقتصر مهنة الخياطة على النساء اليهوديات، بل مارسها الرجال كذلك، ويشهد للنساء اليهوديات إتقانهن لحرفة الخياطة

(١) سعيد الجمل، اليهود والملك، ج ٢، وثيقة رقم (٢٤١) ص ٨٨. كاميليا أبو جبل، ص ٨٧.

والتطريز بين أوساط النساء المسلمات، وكثير من الأثواب المطرزة الموجودة في أماكن العرض الأثرية في صنعاء، هي من عمل المرأة اليهودية^(١). وطرز الخياطون اليهود ملابس المسلمين، وانتشرت هذه المهنة في المدن والقرى، واشتهر يهود أرحب بها، وتوارثتها الأجيال، وعمل عدد من علماء اليهود بهذه المهنة. وأدوات هذه المهنة بسيطة عبارة عن الإبرة والخيط التي يمكن حملها والعمل بها أثناء الزيارة.^(٢)

٥- الغزل:

تعتبر مهنة الغزل من المهن الراقية والمحترمة لدى يهود اليمن، حيث صنعوا قسماً كبيراً من الأغطية والأقمشة التي تحتاج إليها البلاد، وقد وجدت مدن بكاملها مارس اليهود فيها حرفة الغزل، مثل يهود شرعب الذين اقتصر عملهم على الغزل، كانوا يحيكون الشملة والأقمشة، وقد استخدم اليهود في صناعتهم القطن المستورد من الهند أو بريطانيا^(٣)، والصوف المنتج محلياً،

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٢) حاييم حبشوش، مصدر سابق، ص ١٧.

(٣) كاميليا أبو جبل، نفس المرجع، ص ٨٥، ٨٦.

والذي كان يحول إلى خيوط غزل تلف على شكل أربطة بحجم كبير وصغير وبياع بالرطل^(١). وقد استُخدم لذلك آلة الغزل البسيطة المصنوعة من الخشب.

٦ - صناعة الجلوديات

ارتبطت صناعة الجلوديات بصناعة الأحذية، إلا أن الذين يصنعون الجروم "الفراء" بمكانة أكبر، وصانعوا الجروم كانت غالبيتهم من اليهود، كذلك صانعو الحقائق والجعب من الجلد، وكان اليمني يحمل حقيبة جلدية يضع فيها حوائجه، وتعتبر صناعة الأحذية من أهم المصنوعات الجلدية، وهي في ذلك الوقت كانت من المهن البسيطة التي لا تحتاج إلى رأس مال، أو أدوات كثيرة، كما لا تحتاج إلى كثير من الفن والمهارة.

ومارس عدد من اليهود في اليمن هذه المهنة كعمال جوالين، حملوا معهم لوازمهم وأدوات عملهم، وقطع الجلد لتصنيع الأحذية

(١) المركز الوطني للوثائق، وثيقة رقم (٣)، وهو كشف بيان جملة الغزل المسلم بيد الذمي "سالم فيرح"، ابتداءً من سنة (١٣٥٤هـ إلى سنة ١٣٥٦هـ).

بالريف، وتلقى هؤلاء أجورهم من زبائنهم على شكل مواد تموينية.^(١)

٧- صناعة الفخاريات:

اقتصرت هذه الصناعة تقريباً على اليهود، ففي المناطق الساحلية وجدت أحياء كاملة جميع سكانها يعلمون في صناعة الفخار، لأنه توفر فيها المواد الأولية.

ففي الطريق من عمران إلى خولان ذكر "يعقوب سفير" ١٨٥٩م، أنه مر بحي يهودي يسكنه "١٥" عائلة، كلها تعمل في تصنيع الأواني الفخارية، كذلك كانت منطقة "السر" قرب شبام، وقرية القابل شمال صنعاء، كانت أماكن يصنع فيها اليهود الفخار. ووجدت مراكز إلى الشرق من صنعاء لصانعي الفخار الذين كانوا يجلبون بضائعهم إلى صنعاء وريده. وامتازت هذه الفخاريات بجودة الصنع.

ويستخدم في صناعة الفخار عادة مزيج من التربة الغضارية، يضاف إليها التين، وتقوم النسوة بصنع اسطوانات طويلة من هذه

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٨٨.

الطينة وعجنها، أما التصنيع فكان يتم على مراحل، فكل قطعة كانت تصنع على حدة، كما في صناعة الأبريق، فكان يصنع أولاً الأبريق، يليه رقبة الإبريق، وأخيراً القبضة اللازمة للأبريق. ولتسوية الفخار ومعالجته، كانت تستخدم قطعة قماش مبللة بالماء. ولصناعة بعض النقوش كان يضغط بالإصبع على الاسطوانة أو تستخدم قطعة خشب أو ريش دجاج.

وصنع يهود اليمن (الكوز) وهو ما تجلب به النساء الماء من النبع، والقدور الفخارية للطبخ، إضافة إلى رأس "المداعة" وهي النرجيلة، ويسمى "البوري" المصنوع من الفخار، والذي كان يتم حرقه في أفران أرضية تسمى "محاريق" وهي ما زالت موجودة في بعض أحياء صنعاء إلى الآن، وهذه المحاريق تتألف من تجويف طيني، يملأ بمواد الاحتراق، وتوضع الأواني الفخارية المعدة للحرق على محيط الفتحة العلوية. (١)

(١) كاميليا أو جبل، مرجع سابق، ص ٨٩، ٩٠.

وجدت مراكز إلى الشرق من صناعة لصناعة الفخاريات،
كالأباريق والمشربيات والخزفيات، ووجد في قاع اليهود بصنعا
أتون (مزن) لصنع الأجر الأحمر، وآخر لصنع الفخاريات.^(١)

٨- صناعة العطوس (البردقان):

عمل اليهود بصناعة التتباك المسحوق الذي يستعمله الناس
كمضغة بأفواههم أو كنشوق يستنشقونه بأنوفهم، وقد عملت
النساء اليهوديات بهذه المهنة، وكان اليهود يستخدمون المطاحن
اليديوية حيث أضافوا للتتباك نوعاً من التراب يدعى "قدقة"،
وحصلوا على التتباك من عدن والسويس وصنعوا منه كميات
كبيرة. وقد وصف لنا "نزیه مؤید العظم" أحد معامل البردقان التي
زارها في صنعا فقال: " دخلت أحد هذه المعامل فإذا به يتألف
من " دَوْرٍ " أرضي، فيه عدة غرف صغيرة، وفي كل غرفة أريكة
علوها نحو متر واحد، وعليها ثلاث أو أربع مطاحن يدوية،
ويعمل في كل مطحنة منها فتاة أو امرأة يهودية، وقد عصبن

(١) نزیه مؤید العظم، مصدر سابق، ص ١٤٠.

أنوفهن وأفواههن بعصابات من القماش (كقناع) ليتمتص دخول التمباك المسحوق إليها. (١)

والعطوس شائع الاستعمال بين سكان اليمن، وخاصة القبائل البدوية، حيث يضعونه في علب ويقدمونها لبعضهم كضيافة السجائر. و(البردقان) كالفات(*)، يقلل شهية الإنسان للطعام ومنشط للأعصاب. (٢)

يضاف إلى هذه الحرف والمهن السابقة سلسلة واسعة من المهن والحرف الأخرى، كصناعة القش والصابون والحلوى والصبغة والجزارة، وأعمال البناء، وصيد الأسماك .. الخ(٣).

(١) العظم، مصدر سابق، ص، ١٤١.

(*) الفات: اسم لنبات أوراقه دائمة الخضرة، ويستهلك كنبات منشط بين اليمنيين، تمضغ أوراقه الغضة والطرية في الفم لمدة تتراوح ما بين الثلاث ساعات والخمس ساعات في أماكن معدة لذلك تسمى غرفة "المقيل"، حيث يجتمع في هذه الغرفة عدد من الأشخاص، يتجاذبون أطراف الحديث مع مضغ الفات. الموسوعة اليمنية، ج٣ ص ٢٣٠٥، ٢٣١٥.

(٢) نزيه مؤيد العظم، مصدر سابق، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٣) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٩٦، ٩٧.

ولم تقتصر تجارة اليهود على المواد المسموح بها في المجتمع اليمني، بل لقد تجاوزت ذلك إلى غير المسموح أو المحرم، فقد كانوا يتاجرون في الخمر، وهي من التجارة المحظورة عليهم بيعها للمسلمين، وإنما يتبادلونها داخل أحيائهم الخاصة، ولا يبيعونها للأجانب من المسيحيين الذين يتواجدون في صنعاء في ذلك الوقت، إلا بعقود وتصريحات رسمية من "العامل" موجهة إلى عاقل اليهود، وهذا بدوره يوجه الطلب إلى من يبيع الخمر ليقوم بتجهيز الطلب بناء على تلك الموافقة الرسمية^(١)، فإذا حدث وتورط أحد اليهود وباع الخمر لأحد من المسيحيين بدون رخصة من العامل، وانكشف أمر البيع، فإن التاجر اليهودي يتعرض للمسألة القانونية والعقاب، أما إذا تورط وباع الخمر لأحد المسلمين، ووجد هذا المسلم في حالة السكر، فعقاب هذا التاجر اليهودي الذي تجرأ وتحدي سلطة الدولة أن يهدم داره من الأساس، لذلك أصبح اليهود في غاية الخوف والحذر.^(٢)

(١) المركز الوطني للوثائق، ملف اليهود، وثيقة رقم (٤)، بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ.

(٢) سيف الدين آل يحيى، مصدر سابق، ص ١٥٦.

وقد أصدرت الدولة قانوناً حول تجارة الخمر، وأصول بيعه في عام ١٩٣٢م، ونصه كما يلي:

- ١- أن يجري بيع الخمر وصنعه في محل محدد صالح للصناعة والبيع .
- ٢- أن يكون البيع على واحد من اليهود ولا يسمح ببيع قطرة واحدة منه لغير اليهود .
- ٣- أن ما يُنتج من الخمر يحتجز في مكان مغلق تحت يد تاجر يهودي يشفعه أحد العقال الموثوقين .
- ٤- أن العاقل المذكور يشرف على تسليم كميات الخمر بالكيل ويسلمه إلى يد البائع .
- ٥- يجري البيع وفق فواتير أصولية، بحيث تتطابق فيما بعد مع حجم الكميات الداخلة إلى المتجر .
- ٦- أن لا يبيع الخمر إلا من متتومس (شريف) معروف، أما الموهوم فيُعطى كمية يشربها في الخمارة.
- ٧- ألا يباع الخمر خارج قاع اليهود إلا لمن هو متتومس معروف، وباطلاع كفيله حسب الأمر الشريف.

٨- أن لا يخرج خمور مع اليهود من أبواب قاع اليهود إلا بتفتيش ولا يسمح لأحد أن يخرج أي كمية من الخمر معه.

٩- ألا يصطنعوا الزبيب والسكر إلا مرة واحدة، ويريقوا المقادير وقدر السكر نصف في نصف القدر، خوفاً من ضرر الناس إذا اصطنعوا الزبيب ليس بالحجم المطلوب.

١٠- ألا تكون درجة الخمر أقل من (١٦) درجة من الدرجات المعمول بها.

١١- أن يكون التعديل على العبارات في وقته المحدد، ويكون لهم من الأجرة، ولا يجوز الغلاء لأن الغلاء يخلق الخلاف.

١٢- تعتمد العشرة بنود المعمودة بختم أمير المؤمنين الموجودة لدى الحاكم، وعليه عدم البيع أو إخراج الخمر لأنه يكون التشكي إلى مولانا. (١٣٥١هـ-١٩٣٢م).^(١)

(١) المركز الوطني للوثائق، وثيقة رقم (٥)، بنود قانون بيع الخمر، بتاريخ ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.

ومن هنا نرى أنه قد سمح لليهود ممارسة أي مهنة يختارونها دون قيود - باستثناء الأعمال العسكرية - التي يستثنى منها جميع الذميين، وبمرور الوقت تميزوا بإتقان هذه الحرف والمهن التي عملوا بها، وكانوا متفوقين في جانب الصناعات اليدوية على سكان البلاد من المسلمين، بحيث أصبح المجتمع اليمني في حاجة ماسة إلى وجودهم. ويؤكد ذلك ما نشرته (الوكالة اليهودية عام ١٩٤٧م في تقريرها عن أوضاع يهود البلاد الشرقية، بأن الحكومة اليمنية قد أنشأت مصانع النسيج والصابون وغيرها من الصناعات، وأمرت اليهود بأن يقوموا بتعليم هذه الصناعات التي يجيدونها لسكان المجتمع اليمني حتى يحلّو محلهم، وحتى لا تختفي هذه المهارات إذا ما ترك اليهود في البلاد.^(١)

ثالثاً: التجارة:

إن أول ذكر للدور التجاري لليهود اليمن خلال العصر الحديث أورده "كارستن نيبور" الذي زار اليمن عام ١٧٦٢م، وكذلك ما

(١) أمة السلام جحاف، مرجع سابق، ص ٥٩.

كتبه المبشر "يعقوب سفير" عندما زار اليمن عام ١٨٥٩م: "بأن عرب اليمن كانوا يملكون الحقول، لكن التجارة والصناعة كانت مقتصرة تقريباً على اليهود"^(١).

إلا أن هذا القول مبالغ فيه، فالتجارة من المهن الذي عرف عن المسلمين اليمنيين الاشتغال بها إلى جانب الزراعة، وخاصة في المدن. ويشهد على ذلك الأسواق الأسبوعية المنتشرة في جميع أنحاء اليمن بالإضافة إلى سوق صنعاء الشهير الذي يوجد به جميع السلع الاستهلاكية، وتعد فيه الصفقات التجارية الكبرى ، وكان جميع محلاته ملكاً للمسلمين، وإذا وجد تجار يهود فإن محلاتهم بالإيجار وليست ملكاً، حيث اقتصر تملكهم للمحلات التجارية على سوق القاع بحي اليهود فقط. ولقد اشتغلت أعداد من يهود اليمن في التجارة ومارسوا هذه المهنة بكل حرية ودون أن يعترض طريقهم أحد. وقد ذكر نزيه العظم أنه زار أحد دكاكين اليهود في "باب الشرارة" أحد أبواب صنعاء القديمة السبعة، ورأى فيه بضائع مختلفة، وأهم تلك البضائع وأكثرها، صابات الحرير الشامية من مصنوعات حلب، ووجد أيضاً أنواعاً

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٩٧.

مختلفة من الحرير تستعملها السيدات المسلمات، لتطريز ملابسهن، وشاهد أيضاً الكثير من أقمشة، السنيت، والكتان، القطنية الرخيصة، وأنواعاً مختلفة من الجوخ والأقمشة الصوفية، المستوردة من بريطانيا، عن طريق عدن.^(١)

ويحلو لبعض الكتاب محاولة تشويه تلك الحرية بقولهم إنه كان على التجار اليهود إغلاق دكاكينهم ومحلاتهم التجارية بعد غروب الشمس وعدم فتحها ليلاً، مع إن عادة إغلاق المحلات التجارية بعد الغروب كانت متبعة عند التجار المسلمين أيضاً. ولا يعني ذلك قيداً أو حظراً على حرية التجارة، هذا مع الملاحظ أن قسماً من دكاكين التجار اليهود ومحلاتهم وجدت في مدينة صنعاء خارج حيهم، ومع ذلك فإنها لم تتعرض للسرقة أو النهب. مما يؤكد على حالة الأمن والطمأنينة التي كان يتمتع بها التجار اليهود.^(٢)

ويختلف العمل بالتجارة بحسب رأس المال المستخدم للتجار، ونوع المادة المتاجر فيها، وتقسّم الأدبيات التجار اليهود في

(١) نزيه مؤيد العظم، مصدر سابق، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) عكاشة، مرجع سابق، ص ٧٢.

اليمن إلى ثلاث درجات: كبار التجار الذين بلغوا درجة عالية من الثراء، ومنهم صغار التجار - وهم الغالبية - ومنهم من كان يعمل بالتجارة المتنقلة بين القرى. أضيف إلى ذلك فإن التجارة نوعان:

الأول: داخلي يقوم بتصريف المواد المحلية بدرجة أولى والمواد المستوردة .

الثاني: التجارة الخارجية التي تقوم على الاستيراد والتصدير من وإلى خارج المجتمع. (١)

وقد استورد اليهود البضائع وغطوا حاجة الأسواق الداخلية منها، وبنفس الوقت سيطروا على الصادرات من الجلود والقهوة والأحجار الكريمة، بعد أن كان يتم جمعها من الداخل ثم يقومون بإيصالها إلى عدن، ومن هناك يتولى تجار عدن تصديرها إلى الخارج.

ومارس التجار اليهود في صنعاء عملية خزن البضائع والسلع القابلة للتخزين، وبذلك دخل هؤلاء التجار في عملية منافسة

(١) أمة السلام جحاف، مرجع سابق، ص ٥٦،٥٥.

متكافئة مع تجار اليهود في عدن، حيث كان تجار صنعاء يفرضون شروطهم على تجار عدن فيما يتعلق بالنقل وسعر البضائع، وغالباً ما حصل مصدر "البن" من تجار صنعاء على ضمانات تسهل لهم استيراد التبناك الفارسي لتغطية السوق المحلية. وحصل تجار الجلود على تسهيلات ودعم من تجار عدن لاستيراد الأقمشة من بومباي وإنجلترا والتوابل من الهند. وبواسطة هذه الشبكة من العلاقات التجارية امتلكت زعامة الطائفة اليهودية في اليمن علاقات مع التجمعات اليهودية في منطقة الخليج العربي، وكذلك البصرة، وبغداد، والموصل.^(١)

الأسواق التجارية:

تعد الأسواق التجارية مركز وعصب الحياة الاقتصادية في أي بلد، ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الأسواق التي كانت مزدهرة في اليمن في عهد الإمامة وهي:

١- سوق المدينة الثابت: الذي ينتج يومياً ويعج بالحركة الدائمة من سكان المدينة والعابرين إليها .

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٩٩.

٢-السوق الأسبوعي: الذي ينتج في يوم محدد من الأسبوع
مثل سوق الثلاثاء والخميس.

٣-السوق الموسمي المؤقت: وهو يقام مرة واحدة كل أسبوع
في الهواء الطلق دون الارتباط بمدينة معينة. وهذه الأسواق يلتقي
فيها كل من يريد الشراء أو البيع بدءاً من التاجر الصغير الذي
يحمل بضاعته على ظهره إلى التاجر الغني الذي يأتي مع
أعوانه وبعض الحمير المحملة بالبضائع.

سوق صنعاء:

ويقع هذا السوق في الجنوب الشرقي من المدينة وهو ما
يعرف الآن "بسوق الملح"، وقد شكل هذا السوق العصب الرئيسي
للحياة التجارية في اليمن، لأن الأسواق الأسبوعية والموسمية لم
تكن شيئاً بالقياس إلى سوق صنعاء الذي جمع في مخازنه
ومستودعاته السلع الفائضة عن الاحتياج المحلي والمجهز
للتصدير، وكل السلع المستوردة من وراء الحدود. وبداخل هذا
السوق مئات الورشات والمشاغل ومحلات العرض التي يمتلكها
الحرفيون والتجار، ولم يكن هذا السوق مقتصرًا على المسلمين،

بل إن التجار اليهود امتلكوا فيه محلات تجارية كثيرة بالإيجار، واشتمل هذا السوق على أسواق متخصصة بداخلة، مثل سوق البز (القماش)، وسوق الحبوب، وسوق العطارة، وسوق الحدادة وغيرها كثير. (١)

العلاقات التجارية بين اليهود واليمنيين:

استفاد اليهود من دعم الإمام يحيى لموقعهم التجاري، فهو لم يضع أية قيود على النشاط التجاري لليهود، بل نجده يكون معهم ومع كبار موظفيه ثلوثاً احتكاريّاً للتجارة، كما كان الإمام يأخذ اليهود بعين الاعتبار في نشاطاته الاقتصادية. فمثلاً في أثناء حروبه الداخلية كان يعهد إلى التاجر اليهودي "إسحاق صبيري" شراء وعقد صفقات السلاح من ألمانيا وإيطاليا (٢).

وقد كان الصبيري أشهر تاجر يهودي في صنعاء له متجر كبير وشهير في قلب منطقته (بئر العزب) في ساحة شرارة،

(١) كاميليا أبو جبل، ص ١٠٢.

(٢) محمد عبد الكريم عكاشة، مرجع سابق، ص ٧٢.

وكان متجر الصبيري متخصصاً في بيع أجود أصناف الأقمشة الأجنبية، وعلى اختلاف أنواعها. (١)

كذلك حين أصدر الإمام مرسوماً في ٢١ رمضان لعام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) بخصوص إنشاء الشركة اليمنية للتجارة والصناعة والزراعة، نجده يتيح في المرسوم الفرصة لتجار اليهود بالمساهمة في الشركة. (٢)

ويذكر العزي السنيدار في مذكراته، أن الإمام أتاح المجال لليهود في التجارة وجعلهم ينافسون التجار المسلمين، وكان يتساهل معهم في العوائد التي كان على التجار دفعها للدولة، مما أثار غضب وحنق بعض التجار اليمنيين ودفعهم للوقوف مع المعارضة ضد حكم الإمام يحيى. (٣)

وبعد أن تأكد التجار اليهود من دعم الإمام لهم، وحمائته المباشرة لتجاريتهم، وسَّعوا علاقاتهم التجارية إلى مناطق بعيدة

(١) سيف الدين آل يحيى، مصدر سابق، ص ١٥٤.

(٢) عكاشة، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣) العزي صالح السنيدار (مذكرات)، الطريق إلى الحرية، إعداد: علي بن عبد الله الواسعي، صنعاء، مطابع صنعاء الحديثة، ١٩٩٨م.

عن صنعاء تقطنها القبائل، وكانوا يتعرفون على زعماء القبائل الذين يترددون على قصر الإمام وعلى الشخصيات الرئيسية في الجهاز الحكومي، ويقومون بإغرائهم بشراء أغلى السلع والمنتجات من المتاجر اليهودية، وخصوصاً العطور والأحجار الكريمة. وعند نفاد أموال الزبائن، يقوم اليهود بإقراضهم لشراء المزيد من هذه السلع، وكان من عادة التجار اليهود عند تقديم القروض أن يطلبوا توقيع المدين على كمبيالة رسمية أو الحصول على رهن تعادل قيمته ضعف القرض المقدم. وعند المطالبة باستيفاء الدين كان التجار اليهود يهددون المدنيين بإحضارهم إلى المحاكم بالقوة بواسطة الجنود، وهو ما كان يخشاه زعماء القبائل خوفاً على هيبتهم أمام العشائر، وهذا ما حصل مع الشيخ "ناصر حبيش" أحد زعماء قبائل حاشد الذي اضطر إلى دفع المبلغ المدين به للتاجر اليهودي، وأخذ وصلاً بذلك كي يتجنب الوقوف أمام المحكمة.

وكان التجار اليهود قد حصلوا عام ١٩٠٤م من الإمام يحيى على أمر موجه إلى جميع المسلمين اليمنيين بدفع ما عليهم من ديون لليهود وفقاً للسندات والكمبيالات التي يبرزها هؤلاء التجار،

وإلا تعرضوا لبيع ممتلكاتهم بالمزاد العلني، أو الزج بهم في السجن. (١)

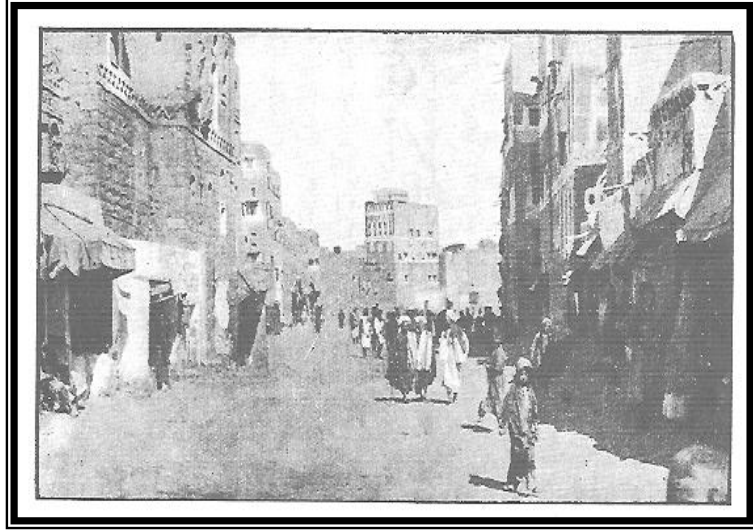
وأخيراً، يمكن القول: أنه في حين ساد التخلف الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع اليمني في ظل الحكم الإمامي، كان اليهود - وخاصة يهود صنعاء - يعيشون حياة مزدهرة وهنيئة، وكانت للوظيفة الاقتصادية للطائفة اليهودية، وحريتها الكاملة في ممارسة شعائرها الدينية، الأثر الكبير في استمرار الأقلية اليهودية تنعم بالأمن والرخاء، ولولا تلك الضغوطات، وعمليات التضييق والتحركات الواسعة من قبل المنظمة الصهيونية وغيرها من القوى المؤيدة لها الهادفة إلى تحريض يهود اليمن والدفح بهم باتجاه الهجرة إلى فلسطين، لاستمر تواجد الطائفة بأسرها تنعم بكل المزايا التي كانت تتمتع بها دائماً. (٢)

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١١٠، ١٠٨.

(٢) عكاشة، مرجع سابق، ص ٧٧.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية ليهود صنعاء



شارع في صنعاء (١٩٣٦م)

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية ليهود اليمن



تشير معظم المصادر إلى أن يهود اليمن عاشوا فترةً طويلة من تاريخهم ينعمون بوضعهم الذي حددته لهم الشريعة الإسلامية كأهل ذمة، يتمتعون بالحماية لأراحمهم وممتلكاتهم مقابل ما يدفعونه من جزية.^(١)

فعندما جاء الإسلام كانت اليهودية أكثر الديانات انتشاراً في اليمن، تليها المسيحية، وبقية من الوثنية. ولذلك حين بعث رسول الله ﷺ مبعوثه إلى اليمن، بيّن له أنه سيجد قوماً أهل كتاب، وبمجرد بدء الدعوة

(١) أمة السلام جحاف، مرجع سابق، ص ١٩.

الإسلامية في اليمن، أسلم أهل اليمن دون حرب، وأسلم أكثر يهود اليمن الذين كانوا منتشرين في اليمن من أقصاها إلى أقصاها، ومعظمهم من أصل يمني، وقليل هم الذين جاؤوا من الخارج.

وقد كان تحول اليهود اليمنيين إلى الإسلام طوعية واقتناعاً دون إجبار أو إكراه، شأنهم شأن سائر اليمنيين الذين اعتنقوه باختيارهم دون إرغام. أما من بقي منهم ممن فضلوا الاحتفاظ بديانتهم اليهودية، فقد كفل الإسلام حرياتهم كاملة، يمارسون شعائرهم، وطقوسهم، ولا يتدخل أحد في شؤونهم، متمتعين بحرية كاملة. (١)

وهذا الوضع حدده الإسلام لليهود، وجعل القبائل اليمنية لا تنظر إلى هؤلاء اليهود من خلال المهنة أو الحرفة التي يزاولونها، وإنما تتحدد هذه النظرة من خلال مفهوم الحماية القبلية لهم، فكبار رجال القبيلة يرون أن انتهاك كرامة اليهودي أو الإساءة إليه، هو انتهاك لسمعة وشرف القبيلة. (٢) وإذا ترك اليهود

(١) تقرير عن اليهود في اليمن، موقع صدق الشرق، مرجع سابق.
(٢) فضل أبو غانم، القبيلة والدولة، القاهرة، دار المنار، ١٩٩٠م، ص ٢٤٥.

القبيلة بسبب سوء المعاملة، فإن القبيلة عرضة للسخرية والاحتقار من القبائل الأخرى.^(١)

بل أحياناً إذا تعرض أي يهودي يعيش في كنف قبيلة لأذى، قد تقوم الحرب بسببه دفاعاً عنه، كما رأينا ذلك في القصة التي أوردتها حبشوش عن يهودي نهم والحرب التي قامت بين بني معصار وآل الجرادي بسببه.

وبالرغم مما أشارت إليه جمعية "ناطوري كارتا" أن الحكام بشكل عام كانوا حريصين على أن يشعر اليهود في ظل حكمهم بالأمان، وبحرية التنقل في القرى والأسواق، الأمر الذي يعكس قوتهم واحترامهم للعقيدة الإسلامية، إلا أنها ذكرت أيضاً أنه كان من الحكام من أساء معاملة اليهود، كما أنهم لم يستطيعوا توفير الحماية الكافية لهم، فلم يسلم اليهود من التعرض للقتل والنهب من القبائل اليمنية، ولم يحدد المصدر الفترة الزمنية لهذه

(١) حاييم حبشوش، مصدر سابق، ص ٤٠.

الأحداث، واكتفى بالإشارة إلى أن حياتهم كانت أفضل مما كانت عليه في العصور الوسطى.^(١)

والثابت تاريخياً أنه كان لليهود اليمنيين الحق في ممارسة العادات والتقاليد الخاصة بهم داخل أحيائهم الخاصة ومجتمعاتهم المغلقة، حتى أنه كان يسمح لهم بصناعة الخمر وشربها رغم تحريم الدين الإسلامي لها، شريطة ألا يبيعونها لغير اليهود وإلا تعرضوا للعقوبة إن هم خالفوا هذه القاعدة التي تحفظ لهم حقوقهم وتحفظ للمسلمين دينهم .

ومع ذلك، فإنه وبالرغم من تمتع الطائفة اليهودية بحماية الدولة ومساندة الإمام يحيى لحقوقهم، إلا أن العزلة والفوارق الاجتماعية التي فرضت عليهم كانت بارزة، يؤكد ذلك ما أورده "أمين الريحاني"، الذي زار اليمن عامي (١٩٢١/١٩٢٢م) وكتب كتابه "ملوك العرب"، وجاء فيه على لسان أحد الشخصيات المقربة من الإمام يحيى، والتي رافقت الريحاني في رحلته من ذمار إلى صنعاء، يقول:

(١) جمعية ناطوري كارتا، يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية، مجلة دراسات يمنية، العدد (١٧)، ١٩٨٤م، ص ١٤٥، ١٤٦.

" يجب على اليهود يا أمين أن يرسلوا الذوائب الشعرية، كي لا نظنهم منا إذا شبت الحرب بيننا نحن العرب فنذبهم خطأ، ويجب أن يركبوا الحمير فقط لأنهم لم يتعودوا ركوب الخيل، والسلامية يا أمين قبل الفخامة. ويجب عليهم أن يرفعوا الزخارف من المراحيض، ويجوز لهم المتاجرة بها فيزيد مالهم^(١)."

ويجب عليهم دفع الجزية كي لا ينسوا أصلهم وقوميتهم يا أمين؛ فيذكروا دائماً شريعة النبي السمحاء، وفضله عليهم. ويجب عليهم إذا سبهم المسلم أن يشكوه حالاً إلى الإمام، فيأمر المدعي بذبح فداء، فإذا ثبت الذنب دفع المسلم ثمن الغداء وأخذ اليهودي نصفه. وكثيراً ما يتمنى اليهودي الشتيمة طمعاً بنصف الغداء، ولا يجوز التملك لليهودي؛ الأرض لنا، والبيت له مدة من السنين محددة، ويجوز لهم أن يصنعوا الخمر فيشربوا، ولا يبيعوا غيرهم فيحزنوا"^(٢).

ورغم ما في هذا الحوار من الطرافة، إلا أنه يوضح القيود التي تم إلزام اليهود بالتقيد بها سواء في صنعاء أو في غيرها من

(١) كان اليهود يرفعون مخلفات المراحيض، ويبيعونها لأصحاب الحمامات العامة لاستخدامها في الوقود .

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، ص ١٩١، ١٩٢.

المدن والقرى اليمنية، وما عدا هذه الفوارق فقد عاشوا بين المسلمين في أمان وسلام، كما هو ثابت تاريخياً .

مساكن اليهود

الحي اليهودي بصنعاء (قاع اليهود) نموذجاً:

تذكر إحدى المصادر التاريخية، بأن الإمام "أحمد بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد" قام بإجلاء اليهود عن الأحياء التي كانوا يعيشون فيها بمدينة صنعاء عام (١٧٠٣م)، وكان عزلهم عن أحيائهم: الجلاء، شكر، القزالي^(١)، إلى منطقة موزع القريبة من مدينة "المخاء" في الجنوب الغربي من اليمن. ولم يذكر المؤرخون المعاصرون أسباباً واضحة لهذا الحادث .

وفي عهد الإمام "المهدي عباس" (١٧٤٠-١٩٤٩م)، سمح لليهود بالعودة إلى صنعاء، وأمر بإقامة حي خاص لهم في سهل غربي صنعاء عُرف فيما بعد بـ "قاع اليهود" وعاشوا به حتى غادروا إلى فلسطين عام (١٩٤٧-١٩٤٩م). ويقع حي اليهود

(١) هي أحياء في مدينة صنعاء القديمة، موجودة إلى الآن بنفس الأسماء.

غرب "بئر العزب" من مدينة صنعاء القديمة، وله سور يتصل بالسور القديم الذي يحيط العاصمة صنعاء، وكان للحي اليهودي أربعة أبواب:

- الأول: يُعرف بباب القاع غرب الحي.
- والثاني: باب البلقة .
- والثالث: باب البيونية. وهما في شرق الحي .
- أما الرابع: فيدعى باب عبيلة، ويقع شمال الحي اليهودي.

وتبلغ مساحة الحي حوالي (٦٠.٠٠٠ متر مربع) ^(١). ويتميز قاع اليهود في صنعاء بأزقته الضيقة واستقامة تلك الأزقة نسبياً، كما أنشئت فيه الحوانيت الصغيرة المنقطعة من المنازل التي تستغل لأغراض التجارة، ويخترق الحي سوق طولاني فيه كل أنواع البضائع والخردوات، كالأقمشة والأدوات المنزلية، وما زال هذا السوق إلى اليوم يستغل لبيع الفاكهة والخضروات والقات، ويقوم تخطيط الحي على أساس نظام الحارات، حيث تشاد المنازل حول فسحة من الأرض يكون مدخل المنزل على الشارع

(١) زيد محمد حجر، أوضاع يهود صنعاء الاجتماعية، ص ١٥٨.

مباشرة، ويلى المدخل بضع درجات، ثم يليها باب آخر للدخول للمنزل، وربما كان استخدام الباب الآخر لأغراض دفاعية تحسباً من أي هجمات، لأن بين البابين مسافة كافية للتحصين ومفاجأة من يريد الإساءة. (١)

ومن المشهور أن "قاع اليهود" كان مقسماً إلى ٢٠ حارة في كل حارة معبد أو اثنين إذا كانت الحارة كبيرة. (٢)

وقد عرفت هذه الحارات بالأسماء التالية:

- | | | |
|-----------------|---------------------|------------------|
| ١-حارة الوادي | ٢- حارة مسعود | ٣- حارة الريشة |
| ٤-حارة المشماعة | ٥-حارة مسلخ | ٦-حارة البوساني |
| ٧-حارة الذماري | ٨-حارة الكحلاني | ٩-حارة الصيرة |
| ١٠-حارة الفارقة | ١١- حارة حيارة وغيث | ١٢-حارة السبعاني |
| ١٣-حارة الشيخ | ١٤-حارة الربعاني | ١٥-حارة السوق |

(١) عباس فاضل السعدي، التطور المورفولوجي لمدينة صنعاء، مجلة

دراسات يمنية، صنعاء، العدد ١٥، ١٩٨٤م، ص ١٣٢.

(٢) تقرير عن يهود اليمن من الإنترنت .

١٦-حارة صالحه ١٧-حارة القارئة ١٨-حارة الأسطا

١٩-حارة الطيري ٢٠-حارة الجديدة^(١)

وقد قام الباحث "زيد محمد حجر" بزيارة إلى قاع العلفي حالياً، وقدم وصفاً لأحد المنازل اليهودية، الذي لا يزال موجوداً ولم يطرأ عليه أي تغيير منذ غادره مالكة إلى فلسطين، وأعطانا صورة مفصلة وحقيقية لفن المعمار اليمني اليهودي، فقال: "مظهر البيت بسيط ولا وجود لزخرفة به، وارتفاعه قصير إلى حد ما، ويوجد في مساحة أكبر من المساحة التي يبني عليها منزل السلم، مدخل البيت صغير لا يتجاوز ارتفاعه المتر والنصف، ومن النادر أن يصادف الإنسان أحد البوابات الرئيسية لمنزل اليهودي معقدة (أي مقوسة) ويرجع السبب في ذلك لعدم اقتناء اليهود الحيوانات كبيرة الحجم كالجمال والخيول، وهذه البوابة تؤدي إلى حجرة (دهليز-بدروم) قاعدتها منخفضة عن سطح أرض الشارع، ولها مدخل يؤدي إلى سلم الطابق الأول المنخفض أيضاً، والمؤدي إلى غرف تستخدم كمستودع تجاري، والعادة

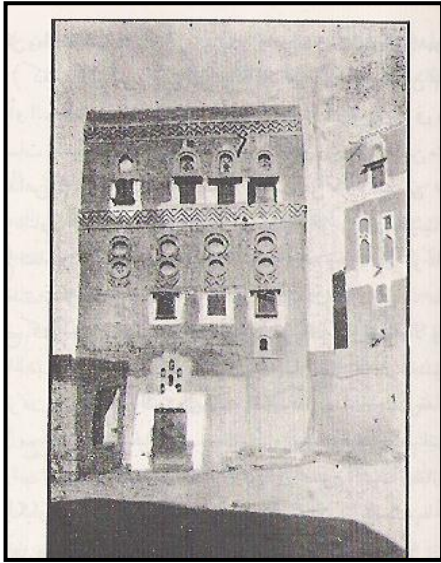
(١) كاميليا أبو جبل، يهود اليمن، ص ١٢٤، ١٢٨.

المتبعة لدى اليهود في بناء منازلهم تخصيص غرفة في الطابق الأسفل لصناعة الخمر وتسمى الغرفة بـ (ديمة العرقي)، أما الفتحة الثانية في الدهليز، فتؤدي إلى سلم البيت الذي ينتهي إلى الحجرة الشمسية الموجودة بغرف الطابق الثاني، وتستخدم هذه الغرفة في كثير من الأحيان للأعمال المنزلية، كخياطة (الجروم) غطاء النوم من جلد الماعز، وللأعمال الأخرى كتنظيف الملابس.

أما الغرف المحيطة بالحجرة الشمسية، فمعظمها مخصص لدى اليهود لأغراض مختلفة، فمثلاً: أهم غرفة في هذا المنزل تلك التي أعدت لتكون مركزاً للعبادة وممارسة الطقوس الدينية في سائر الأيام، وفي الأعياد بوجه عام. عندما تدخل هذه الغرفة تواجهك بقعة صغيرة سوداء بشكل العقود اليمينية الصغيرة متجهة نحو الشمال إلى بيت المقدس، والتي تعني لدى اليهود تذكيرهم بأرض الميعاد، كما يؤكد ذلك المعاصرون لأحوال اليهود^(١).

(١) زيد محمد حجر، مرجع سابق، ص ١٦٠، ١٦١.

واليهود يمارسون صلواتهم اليومية أمامها، وفي أحد أركان هذه الغرفة سقف مرتفع أربعين سنتميتراً ومسقوف بأصابع خشبية على شكل فتحة إلى أعلى مساحتها لا تزيد عن المتر المربع ويسمونها اليهود (العوشة) وتفتح هذه العوشة لرؤية السماء في عيد الغفران. وتُجمَع الأسرة فيها لمدة أسبوع يؤدون الصلاة تحت الثمار المعلقة على أصابع خشب (الأثل)، وعند الانتهاء من عيد العوشة يُعاد سقف العوشة حتى العام القادم .



دار في قاع اليهود في صنعاء
فيها معمل بردقان (١٩٣٦م)

والغرفة الثانية، مُعدّة لتدريب الأطفال الذين بلغوا سن الثامنة على التطريز وقيام النساء بأعمال الخياطة والأعمال الأخرى، وتستخدم أيضاً للنوم. واللافت للنظر وجود عدد كبير من الخزائن الصغيرة المحكمة الغلق لوضع حاجياتهم فيها، وتكاد لا تخلو غرفة من عدد من هذه

الخزائن. أما الغرفة الثالثة فهي مجهزة بأثاث جميل لاستقبال الضيوف، وتُعد بمثابة الديوان الكبير عند المسلمين، والجلوس فيه للقبولة ومضغ القات كما هو الحال لدى المجتمع اليمني عامة، وهناك ثلاث غرف صغيرة تستخدم للنوم، وغالباً ما تستخدم للأولاد الكبار الذين بلغوا سن الزواج بغرض تفريق الذكور عن الإناث، ويسمى اليهود هذه الغرف الصغيرة (كمة) .

كما توجد غرفتان لخزن الحبوب، وبنائهما مقسم إلى أحقب صغيرة، كل حقب خمسة أقداح من الحبوب المختلفة كالقمح والشعير والذرة وغيرها من الحبوب، وهناك بوابة من جانب الحجرة الشمسية تؤدي إلى المطبخ (الديمة) مجهزة

بتتور لطهو الغداء وخبر الرغيف اليمني المختلف الأصناف، وهذه الديمة معدة بالبئر لرفع مياه الشرب من الآبار السطحية، والتي لا يزيد عمقها عن سبعة أمتار أو يقل عن ذلك. (١)

ومنازل الحي اليهودي مبنية من اللّبن (الآجر) المجفف بالشمس والمزين بالطين، وقد بني الأساس أحياناً من الحجر في

(١) زيد محمد حجر، مرجع سابق، ص ١٦١، ١٦٢.

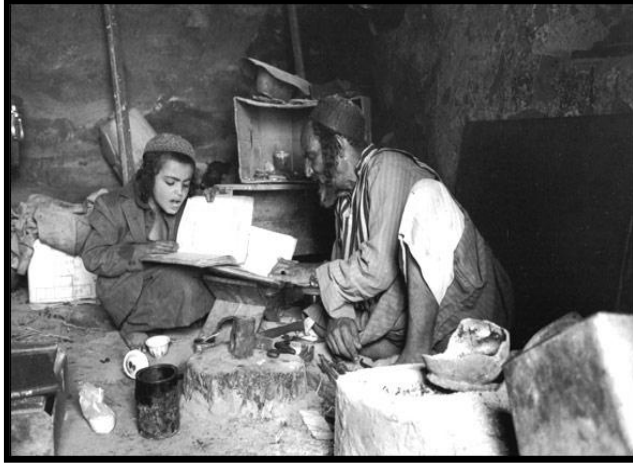
الطابق الأول، وفي البيوت نوافذ خشبية دقيقة الصنع، وهي مثقبة بغرض مشاهدة من يطرق الباب، وتخصص نافذة بارزة يطلق عليها في صنعاء اسم (بيت الشربة) تتخللها ثقوب وتستخدم لتبريد الماء وحفظ الأطعمة من التلف، وهذه الظاهرة منتشرة في بقية مساكن صنعاء ولا تختص بها مساكن اليهود^(١).

وتتميز بيوت اليهود التي لا تتجاوز الطابقين بأنها من الداخل نظيفة ومرتبّة.^(٢)

(١) السعدي ، مرجع سابق، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) كلودي فاين، مصدر سابق، ص ١٠٩.

الكنس والمدارس اليهودية:



يهودي يماني يقوم بتعليم أبنه التوراة

أ- الكنس: يتمتع أهالي "حي اليهود" بحرية العبادة الكاملة داخل حيهم على أن لا يكون هناك مبنى ينافس المسجد، ولذلك كان هناك العديد من المعابد الصغيرة^(١) التي تتميز بطلائها الأبيض الموحد، لتمييزها من الخارج عن بقية المنازل ولحماياتها من الأوساخ، وكانت الكنس تبنى من الأحجار، ولها أقواس في الوسط وأعمدة قوية وكبيرة، إلا أنها قليلة النوافذ. ولا تختلف

(١) زيد محمد حجر، مرجع سابق، ص ١٦٣.

تجهيزات الكنيس عن أية غرفة عادية، فتغطي الأرض بالحصر أو الجلود، وفي بعض الكنس الفخمة تغطي بالسجاد. وعلى محيط الغرفة كانت توضع الوسائد والفرش.

ويوجد في الكنيس مكان أو مقعد للقراءة أو لوضع الكتاب الذي يقرأ فيه، ويسمى (مرفعاً)، أما على الجدران المطلية فيوجد خزائن تستخدم لحفظ نصوص التوراة، وغالباً ما تكون هذه الخزائن في الجدار الشمالي باتجاه القدس.^(١)

ويذكر نزيه العظم في حديثه عن المدارس والكنس اليهودية التي زارها، أنه وجدها في غاية من النظام والترتيب والنظافة، ويقول: ".رأيت أولاد اليهود كأولاد المسلمين يجلسون في مدارسهم على الأرض، وأمامهم طاولات خشبية صغيرة يضعون عليها كتبهم، ويقرؤون جميعاً بصوت واحد ووقت واحد، فلا يفهم الإنسان منهم شيئاً. ورأيت في الكنائس التوراة مكتوبة على ورق غزال، وملفوفة بعدة لفات، فطلبت من أحد الحاخميين أن يفردها

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٢٢.

أمامي، فنشر لي ملفاً، فوجدت كتابة جميلة ومتقنة للغاية. ويدعي اليهود أنهم جلبوا التوراة معهم من فلسطين بعد خراب الهيكل.^(١)

وفي الغالب تكون هذه المعابد مفتوحة دائماً ولا تخلو في أي وقت من بعض المتقدمين في السن يجلسون داخلها ويتلون



توراة يهودية على ورق
غزال ويجانبها يقف الحاخام

الصلوات، وفي جدران المعبد عدة طاقات على كل منها ستار، أما الجدار الرئيسي ففي أعلاه لوحة مكتوب عليها "اسم الله" وفي وسطها رسم شمعدان ذو سبعة أذرع، وعلى جانبيه رسم رجل متقدم في السن يحمل الذي في الناحية اليمنى توراة على كل صورة ملف، أما الذي

(٢) نزيه مؤيد العظم، مصدر سابق، ص ١٤٦.

على اليسار فيحمل ملعقة ومسبحة ومبخرة، وفوق ذلك كله رسم
بناء ذي حديقة به للأرض الموعودة (1).

وقد وجد في حي اليهود بصنعاء (١٥) مدرسة، (١٩) كنيساً
يمارس اليهود فيها طقوسهم الدينية بحرية كاملة^(٢)، ولم تكن المعابد
والكنس أماكن للعبادة وتلاوة الكتب المقدسة فحسب، بل كانت منارة
للعلوم اليهودية إلى جانب المدارس الخاصة بهم، حيث كان يقوم
المدرس (الحبر) بتدريس الأطفال اللغة العبرية القديمة ومبادئ
الحساب، كما كانت المسائل الدينية وغيرها تأتيها من جميع مناطق
الشرق بغرض الفتوى من علماء الدين اليهود^(٣).

إن تعداد الكنس يدل على أن يهود اليمن مارسوا طقوسهم
الدينية بحرية تامة، وتمكنوا من بناء عشرات الكنس في مختلف
أنحاء اليمن، وما قدمه الإمام يحيى لزعامه الطائفة اليهودية من
أراضٍ لبناء الكنس عليها، هو أكبر دليل على مساعدة السلطات

(١) أحمد فخري، ماضي اليمن وحاضرها، بيروت، المكتبة اليمنية للنشر
والتوزيع، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٨٠.

(٢) نزيه مؤيد العظم، مصدر سابق، ص ١٤٣.

(٣) زيد محمد حجر، مرجع سابق، ص ١٦٣.

اليمنية الرسمية في تسيير الشؤون الدينية لليهود، وعدم وضع أية عراقيل في طريق ممارستهم لشعائهم الدينية^(١).

وجرت عادة اليهود أن يبنوا الكنيس في أماكن بعيدة، ولا يوجد لها علامات، كالمآذن في مساجد المسلمين ترشد المار في الحي اليهودي بأن هذا المكان مخصص للعبادة اليهودية، وباب مدخل الكنيس صغير كغيره من أبواب بيوت اليهود.^(٢)

وبعد أن باع اليهود هذه الكنس إلى المسلمين قبل رحيلهم عن اليمن إلى فلسطين استخدمت كمنازل للإقامة بعد إجراء بعض التعديلات والإصلاحات عليها لتناسب السكن فيها.^(٣)

ب- المدارس: كان للابتعاد المتبادل بين المسلمين واليهود، ولعزلهم في أحياء خاصة، أثر في تنشئة الطفل اليهودي في مناخ نقي بعيداً عن أي تأثيرات جانبية. وقد حرص الآباء اليهود

(٣) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٢) سلفا نور أبونتي، مملكة الإمام يحيى (رحلة في بلاد العربية السعيدة)، ترجمة طه فوزي، القاهرة، مطبعة السعادة، ص ١٣٦.

(٣) أمة السلام جحاف، مرجع سابق، ص ٧٠.

في اليمن على إبعاد أطفالهم عن أطفال المجتمع المسلم؛ حتى لا يتم تدويبهم داخل تلك المجتمعات وتتلوث يهوديتهم. (١)

وكما ذكرنا سابقاً أنه وجد بالحي اليهودي بصنعاء (١٥) مدرسة، بالإضافة إلى أن بعض "الكنس" اليهودية قد خصص في جزءٍ منها مكان للتدريس، وكان المدرس (الحبر) يقوم بتدريس الأطفال اللغة العبرية القديمة، ومبادئ الحساب، وبعض المسائل الدينية. وقد وضعت بهذه المدارس برامج لإعداد الطالب عملياً لمواجهة متطلبات الحياة، وهذه المناهج الدراسية في هذه المدارس لم تخضع للرقابة الحكومية. وكانت المدرسة اليهودية في الكنيس تعنى بتربية الأطفال منذ نعومة أظفارهم، حيث يقضون عدداً من الساعات كل يوم في هذا الكنيس للتحصيل العلمي، وكان لهذا التدريس الأثر الهام في توسيع ونشر العلوم الدينية بصفة عامة بين أبناء اليهود. وكان يخصص عدد من هؤلاء الطلاب يتم منحهم مؤهلاً أو إجازة (لقب حاخام). (٢)

(١) جمعية ناظوري كارتا، مرجع سابق، ص ١٥١.

(٢) زيد محمد حجر، مرجع سابق، ص ١٦٤، ١٦٥.

ج- أهم المناسبات والأعياد لدى اليهود:



١- يوم السبت: إن يهود صنعاء كسائر اليهود التقليديين، تقيّدوا بالمناسبات، وأهمها يوم السبت، وهو يوم عطلة أسبوعية تحرم خلاله ممارسة كل الأعمال الخاصة أو الرسمية. ويبدأ يوم

السبت عند اليهود من مساء يوم الجمعة، قبل ظهور الشفق الأحمر، ويعتبر اليهود السبت منحة خاصة من الله لليهود. وتبدأ شعائر السبت في البيت اليهودي بقيام الزوج بطقوس التقديس على كأس نبيذ بعد عودته من الصلاة في المعبد، وتلبس الأسرة ملابس نظيفة تشريفاً لهذا اليوم بعد أن يكون أفرادها قد استحسوا يوم الجمعة قبل بداية السبت، ويقومون بقراءة التوراة في هذا اليوم بصوت مرتفع.^(١)

(١) ألان أنترمان، اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم، تعريب: عبد الرحمن الشيخ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، ص ٢٨٩.

وقد ذكر حبشوش أن أحد اليهود عمل يوم السبت، فقام بقية اليهود بضربه، ونهبوا بيته، وساقوه إلى القاضي الذي أمر بسجنه عدة شهور لأنه انتهك يوم السبت. هذا ويلبس اليهود يوم السبت لباساً خاصاً يذهبون به للكنيس لأداء الصلاة، ويقرؤون التوراة بصوت مرتفع.^(١)

٢- عيد الفصح: وهو يروي - حسب المصادر اليهودية - قصة خروج اليهود من مصر، وما أعقب ذلك من تجل على جبل سيناء، وتجول بني إسرائيل في البرية قبل أن يدخلوا أرض المعياد، وبصادف هذا العيد يوم الرابع عشر من شهر أغسطس، ويستمر سبعة أيام، واليوم الأول والأخير في هذه الفترة يعدان مناسبة طقسية دينية تحرم فيهما الأعمال الدنيوية، وفي هذا العيد يتم تحريم تناول أي شكل من أشكال الخبز المختمر، كما يمتنع اليهود فيه عن تناول الأطعمة والمشروبات اللذيذة.

وليلة الفصح الأولى هي أهم ليالي العيد، وتعرف بليلة "السدر"، ففي هذه الليلة يتناول اليهود وجبة خاصة ذات طابع

(١) حاييم حبشوش، مصدر سابق، ص ٣٨ .

شعائري، وغالبا ما يتناولونها مع أفراد العائلة والأسرة والأقرباء، بالإضافة للضيوف المدعوين.^(١)

٣- **يوم التكفير**: في الشهر السابع من السنة العبرية، ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم، وتُسمى أيام التوبة، وفي العاشر الذي هو يوم التكفير لا يأكل اليهودي ولا يشرب ويمضي وقته في العبادة، وترتيل الابتهالات وكثرة الصلوات فيها، والتوسل إلى الله لغفران ما اقترفه المرء من خطايا في العام السابق، وخلال هذه الفترة تكون هناك محاولات للالتزام بالطقوس وشعائر الطهارة بشكل أكثر من ذي قبل، حيث تقفز جميع سيئاته، ويستعد لاستقبال عام جديد.^(٢)

٤- **عيد العوشة**: ويتم الاحتفال بهذا العيد في الغرفة المخصصة للعبادة، إذ يوجد في أحد أركان هذه الغرفة سقف مرتفع بحوالي أربعين سنتيمتراً مسقوف بأصابع الخشب الأثل،

(١) ألان أنترمان، مصدر سابق، ص ٣١٦.

(٢) عباس الشامي، مرجع سابق، ص ١٥٢. وكذلك أنترمان، نفس المصدر، ص ٢٩٧.

وشكل فتحة إلى أعلى مساحتها لا تزيد عن متر مربع يسميها اليهود "العوشة"، وتفتح هذه العوشة لرؤية السماء في أعياد العوشة، وتجتمع الأسرة فيها لمدة أسبوع يؤدون الصلاة تحت السماء المعلقة على أصابع الأثل، وعند الانتهاء من عيد العوشة يُعاد سقف العوشة حتى العام القادم.^(١)

وهناك أعياد أخرى يحتفل بها اليهود في اليمن، كعيد الخضيرياء، وعيد قرار، وعيد رأس السنة .. الخ^(٢) وخلال هذه الأعياد، لا يظهر لليهود أي أثر في الشوارع، بل يبقون في منازلهم ويمارسون طقوس الأعياد، ويلبسون أفخر الثياب، ويشربون النبيذ، ويقروون التوراة، ويتبادلون الزيارات.^(٣)

(١) زيد محمد حجر، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٢) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٣) سلفاتور أبونتي، مصدر سابق، ص ١٣٢.

مكانة المرأة في المجتمع اليهودي



أسرة يهودية يمنية

تختلف تربية البنات في المجتمع اليهودي عن تربية الذكور تماماً، فالبنات اليهودية يمنع عليها التعلم في الكنيس، وبالتالي يصبح محكوماً عليها بالأمية، في حين يصبح الذكور على علم ديني وزمني يتفوقون فيه على الإناث منذ الطفولة.



وإذا كان الفتى يقضي معظم نهاره في المدرسة، فإن البنات تبقى في المنزل إلى جانب والدتها، وكان عليها فقط أن تهتم بإخوانها الصغار، وتقوم بتنظيف المنزل والعمل في المطبخ وتعلم الخياطة والتطريز^(١). وعند زواجها تتخلى البنات عن مزيد من حريتها، لأنها

تتسلم واجبات المرأة والأم إضافة إلى ما كانت تقوم به. فالمرأة

(١) جمعية ناطوري كارتا، مرجع سابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

اليهودية في اليمن احتلت عموماً منزلة ثانوية بالقياس إلى الرجل من النواحي المعنوية، رغم أهمية مشاركتها في العمل الأسري والاقتصادي إلى جانب الزوج. ويحرم على المرأة اليهودية دخول الكنيس خوفاً من أن تدخله خلال فترة الطمث.

ولم تختلف المرأة اليهودية عن مثيلتها المسلمة في مجتمع الانعزال والتأخر، فالمرأة اليهودية مثلها مثل المرأة



صورة لعروسة يهودية يمنية

اليمنية عموماً لا تعمل، وتتحمل مسئولية رعاية الأطفال والقيام بأعباء المنزل فقط. (١)

أما بالنسبة لتعدد الزوجات فهو شائع عند اليهود، حيث نجد نسبة عالية من الرجال المتزوجين يبحثون منتصف أعمارهم عن زواج جديد،

(٢) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٤٦، ١٤٧.

خاصة في أوساط الفئة اليهودية الميسورة.^(١)

والشائع أن الرجل اليهودي يتزوج في كافة أرجاء اليمن أكثر من واحدة وقد يصل العدد إلى أربع زوجات وأكثر إذا شاء حتى لو أنجبت له زوجته الأولى الذكور والإناث، ويمكن للرجل البالغ من العمر (٨٥) عاماً أن يتزوج فتاة صغيرة في سن (١٥) من عمرها. والعجيب في هؤلاء قدرتهم على الاحتفاظ بهذا العدد من الحريم والأولاد في بيت واحد دون مشاكل تذكر، وتعتبر الأسباب الاقتصادية ثانوية لأن تعدد الزوجات أمر شائع في اليمن وخاصة لدى الفلاحين.^(٢)

وتوصف الزوجة المثالية في الكتابات اليهودية بأنها تلك التي تنفذ ما يريده زوجها، وأن تكون حبيه في بيتها وألا تفرط في الدلال والخفة أمام زوجها، أيضاً توقّر زوجها وتقف إجلالاً له!

(١) أمة السلام جحاف، مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) سيف الدين آل يحيى، مصدر سابق، ص ١٥٧.

فإذا تزوج الرجل اليهودي، فإنه يعتبر المرأة ملكاً أبدياً، بعد أن دفع صداقها، وكل رجل يستطيع طلاق زوجته، ويحذو الطلاق في اليهودية حذو الشكل الوارد من التوراة:

"إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم يجد نعمة في عينيه (لم ترق له) لأنه وجد فيها عيب شيء، كتب كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته" وذلك بعد أن يدفع المبلغ المنصوص عليه في عقد الزواج.(^١)

وصكوك الطلاق باليمين كانت جاهزة لدى الحاخاميين، ولا تحتاج إلا لوضع اسم الزوج أو الزوجة، وأن يوقع الصك أمام القضاة والشهود، ويستطيع الزوج استعادة المهر من زوجته إذا تركته بلا سبب.(^٢)

(١) ألان أنترمان، مصدر سابق، ص ٢٧٤.

(٢) كاميليا أبوجبل، مرجع سابق، ص ١٣٦.

الفصل الرابع

هجرة اليهود إلى فلسطين البساط السحري



الفصل الرابع

هجرة اليهود إلى فلسطين

تمهيد:

من المعروف أن المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين قد ظهرت فكرته الأولى في بلدان أوروبا الغربية، وخاصة بريطانيا قبل أكثر من قرن من ظهور الصهيونية السياسية.

وكانت المشكلة الكبرى التي اعترضت القائمين على إيجاد المشروع الصهيوني الاستيطاني، هي تأمين طاقة بشرية بأعداد وبمواصفات تجعل من الممكن خلق بنية اجتماعية متكاملة تستطيع القيام بالدور الوظيفي اللاحق لذلك المشروع.^(١)

وقد استمرت الحركة الصهيونية في تنفيذ مخططاتها التي كانت تجتمع خلال موعد محدد لتدرس ما نفذ منها وما استجد عليها، وترسم خططاً للمستقبل على كل صعيد، وهكذا منذ

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص : ١٦٣.

مؤتمرها الأول في بال بسويسرا الذي انعقد عام ١٨٩٧م، وقرر النقاط التالية التي تقدم بها هرتزل نفسه إلى المؤتمر وأهمها:

▪ إنشاء منظمة دائمة ينخرط تحت لوائها كل اليهود في العالم في خدمة الصهيونية.

▪ تشجيع الهجرة المنظمة وعلى نطاق واسع إلى فلسطين.

▪ الحصول على اعتراف دولي بشرعية التوطين في فلسطين. وقد انتظمت صفوف الحركة الصهيونية من خلال هذا المؤتمر واستمراره وما تفرع عنه من وكالات ومنظمات متخصصة عديدة تنتشر في أمريكا ودول أوروبا الغربية بصفة خاصة.

وهكذا أدت المساعي الصهيونية إلى إنشاء الكيان الصهيوني وتوسعه على حساب العرب من خلال موجات التهجير الصهيوني إلى أرض فلسطين.^(١)

(١) عباس الشامي، مرجع سابق، ص ٨٤.

واعتبرت الصهيونية أن الهجرة هي معيار نجاح أو فشل المشروع الصهيوني من أساسه، إذ دون تأمين هجرة يهودية مناسبة لا يمكن للحركة الصهيونية بلوغ أهدافها.

البدايات الأولى لهجرة يهود اليمن إلى فلسطين:

في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت الحركة الصهيونية منهكة إلى أقصى حدّ لها لتهجير يهود أوروبا الشرقية إلى فلسطين. لكن ذلك لم يمنعها من توجيه جزءٍ من اهتمامها أيضاً لتهجير يهود البلدان العربية عامة، ويهود اليمن بوجه خاص مستخدمة ذات الأساليب من حيث الجوهر، وإن اختلفت من حيث الشكل. فالهدف ظلّ واحداً وهو الحصول على أكبر عدد ممكن من المهاجرين دون الاهتمام بالوسائل التي يتخذها الصهيوينيين لإقناع اليهود بالهجرة إلى فلسطين.^(١)

ففي عامي (١٨٥٨-١٨٥٩م)، قام أحد حاخامات القدس واسمه "يعقوب سافير" برحلة إلى اليمن بغية البحث عن القبائل اليهودية العشر المفقودة!! وبالرغم من اعتقاله مدة بالروضة، إلا

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٦٦.

أنه تمكن من زيارة عدة مستوطنات يهودية هناك. وقد نشر سافير في القدس كتاباً عن أسفاره أثار اهتماماً كبيراً بين اليهود في فلسطين وبين الجاليات اليهودية القديمة في اليمن.

وبعد عام (١٨٨٢م) جاء إلى القدس من اليمن بعض الحرفيين اليهود واستقروا في فلسطين.^(١)

ويذكر " إدمار أوبلانس" مؤلف كتاب (اليمن الثورة والحرب) أنه كان لليهود اليمن في ظل الحكم العثماني بعض الاتصالات بالحركة الصهيونية ومؤسساتها الموجودة في الخارج.^(٢)

عندما قام الإمام يحيى فور توليه زمام الحكم، بعد وفاة والده " المنصور يحيى" عام ١٩٠٤م، بمحاصرة صنعاء لتضييق الخناق على العثمانيين، وإجبارهم على التسليم لنواب الإمام يحيى. وعندما كانت صنعاء تحت الحصار، حاول الكثير من قاطني المدينة بما فيهم اليهود مغادرة صنعاء إلى القرى البعيدة، فنجح

(١) إريك ماركو، اليمن والغرب، مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٢) إدمار أوبلانس، اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م، تعريب: عبد الخالق لاشين، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م، ص ٤٧.

قليل منهم في الهرب إلى عدن ومصر، ووصلت مجموعة أفراد إلى فلسطين، إلا أن الكثير تضرر وهلك من الحصار والجوع .

وبعد تولي الإمام يحيى للحكم في صنعاء، حظيت زعامة الطائفة اليهودية في اليمن بنفوذ كبير وبمعاملة خلت من أي تمييز.⁽¹⁾

وفي أوائل عام (١٩١١م)، أوفد مكتب فلسطين - الذي أسس في يافا عام ١٩٠٨م - "صموئيل اليعزر يافينلي" إلى اليمن، بعد أن تم تأهيله لهذه المهمة خاصة وأنه يجيد اللغة العربية، مما مكّنه من التحدث إلى يهود اليمن دون وسيط.

وقد وصل يافينلي إلى اليمن عبر مصر وعدن، بعد أن تنكر في زي قاصد ديني، ومن هناك دخل شمال اليمن وتجول فيه لمدة أربعة أشهر، زار خلالها معظم مدن وقرى اليهود في اليمن، وغايته من زيارته تلك إخبار اليهود عن العمليات الاستعمارية الكبيرة التي كانت تتم في فلسطين من ناحية، وتقصي أحوالهم المعيشية،

(2) Yehuda Nini : The Jewsof the yemen (1800-1914), p.85-86.

واقناعهم بالهجرة من ناحية ثانية^(١)، وقد نهب يافنيلي وأتُّهم بأنه جاسوس نصراني، وأُجبر في النهاية على مغادرة البلاد.

وعلى كل حال، فقد كانت مهمته ن، إذ لحق به إلى فلسطين في سنتي (١٩١١-١٩١٢م) حوالي (١٥٠٠) يهودي من يهود اليمن، واستقر معظم هؤلاء في المناطق الزراعية هناك.^(٢)

المرحلة الثانية من هجرة اليهود إلى فلسطين:

بعد احتلال الحلفاء لفلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى، انتقلت الحركة الصهيونية إلى طور جديد أكثر خطورة في نشاطها الرامي إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، خصوصاً بعد أن تحول وعد بلفور إلى محور السياسة البريطانية في فلسطين والمنطقة العربية.

لم يتوقف نشاط الوكالة اليهودية في تهجير يهود اليمن إلى فلسطين منذ مهمة "يافنيلي" حتى عام (١٩٣٠م) بهدف اقتلاعهم

(1) Bat-Zion. Eraqi. Klorman: The Jews of Yemen, in the Nineteenth Century E.J.Brill, Leiden, Newyork, 1993.

(٢) إريك ماركو، مرجع سابق، ص ١٧٢.

من موطنهم الأصلي، فعن طريق عدن، حافظت الوكالة اليهودية على صلاتها مع يهود اليمن، ونتيجة لذلك ارتفعت الهجرة بين الأعوام (١٩٢٣-١٩٣٠م) عن الأعوام التي سبقتها، بحيث وصل عدد اليهود اليمنيين الذين هاجروا خلال تلك الفترة إلى (٢٥٠٠) يهودي، أي بواقع (٢٧٧) يهودياً كل عام. وعلى إثر قرار المؤتمر الصهيوني السادس عشر المنعقد في زيورخ عام (١٩٢٩م) الذي طلب من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، أن تفتح مكتباً صهيونياً جديداً في عدن للمساعدة بكل الوسائل لتسهيل هجرة اليهود اليمنيين أصحاب المهن الذين وصلوا إلى شواطئ عدن، وأن تأخذ اللجنة التنفيذية على عاتقها أمر نقل اليتامى الموجودين هناك إلى أرض فلسطين.

وعلى إثر ذلك، قررت اللجنة التنفيذية إرسال بعثة جديدة إلى اليمن برئاسة كل من "غروشون اغروتسكي، وإبراهام طبيب" اللذين كانا يتزعا اتحاد المهاجرين اليمنيين، وصدر كتاب تعيين البعثة الموفدة إلى عدن بتاريخ (٢١/٣/١٩٣٠م) وتضمن الكتاب المهام المناطة بالبعثة.^(١)

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٧٠، ١٧١.

بعد ثلاثة عشر يوماً من مكوث البعثة في عدن، أرسلت تقريرها الأول إلى الوكالة اليهودية في القدس، تضمن الأعمال والمهام الأولية التي أنجزتها خلال هذه المدة، وبعد حوالي ثلاثة أشهر من سنة (١٩٣٠م)، أرسلت البعثة تقريرها الثاني إلى الوكالة اليهودية، وهو استكمال لتقريرها الأول، حيث يسهب التقرير في ذكر أوضاع اليهود الاقتصادية والسياسية في المجتمع اليمني، والمهن التي يمارسها هؤلاء؛ لوضع الوكالة اليهودية في صورة ما يحتاجه المشروع الاستيطاني في فلسطين من هذه المهن.

ويعترف التقرير إضافة لاستمرار الدعم الإنجليزي للبعثة، بالتقدم الملحوظ الذي أنجزته على صعيد تأمين أساليب جديدة لتوافد يهود شمال اليمن إلى عدن، من خلال زعامة الطائفة اليهودية في شمال اليمن، لدعم الهجرة إلى فلسطين. ويتشكيل مجموعات متخصصة بتهريب الأيتام وصغار السن من الشمال إلى عدن^(١)، ويورد نقاط أخرى كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

(١) كاميليا أبو جبل، المصدر السابق، ص ١٧٦.

ويشير الرحالة نزيه مؤيد العظم إلى الدور الخطير الذي لعبته الصهيونية في التأثير على يهود اليمن، حيث قال: " لقد كان للصهيونيين مخابرات طويلة عريضة في صنعاء، حيث كان هناك صناديق إعانة في كل دار من دور اليهود في معظم دور اليمن، واليهودي الذي يريد أن يتصدق بشيء مهما كان زهيداً يضعه في هذا الصندوق، ويقوم وكيل الجمعية بفتحه كل شهر مرة، ويخرج ما فيه فيجتمع لديه مبلغ وافر يرسله إلى صندوق الجمعية بالقدس، ويدعون هذا الصندوق بصندوق الأمة. إن الصهيونية كان لها طوابع خاصة يضعها كل صهيوني على كل خطاب يرسله إلى صهيوني آخر، وإذا ورد لأحدهم كتاب ليس عليه الطابع الصهيوني يرده المرسل ولا يفض غلافه مهما تكن خطورة ذلك الكتاب".^(١)

وحسب إحدى وثائق الحاخام الجمل، كان سالم سعيد الجمل المسؤول الأول عن هذه الصناديق الآنفة الذكر، يرسل ماتجمع فيها من أموال إلى القدس .^(٢)

(١) نزيه مؤيد العظم، مصدر سابق، ص ٤٥.

(٢) الجمل، اليهود والملك، الوثيقة رقم ٣٨٤٠، ص ٩٦. نقلاً عن كاميليا أبو جبل، ص ١٨٢.

وهذا يشير إلى أن زعامة الطائفة اليهودية في اليمن، كانت
تتفد تعليمات الوكالة اليهودية في القدس، أكثر مما كانت معنية
بتحسين أوضاع اليهود في اليمن .

هجرة يهود اليمن الكبرى إلى فلسطين

(بساط الريح)

(١٩٤٨ - ١٩٥٠ م)

وجهت الوكالة اليهودية جل نشاطها للعمل لدى السلطات البريطانية لإقامة معسكرات لاستقبال اللاجئين المهاجرين من شمال اليمن إلى عدن، وقد سمحت السلطات البريطانية بإقامة معسكر للاجئين اليهود في "حاشد"، وهي نقطة صحراوية تبعد (٤٣) ميلاً عن عدن، ومعسكر آخر في قرية الشيخ عثمان.

ويشير "بايزل" في مذكراته على لسان أحد اللاجئين في هذين المعسكرين قائلاً: " لقد تم إغراء عددٍ كبيرٍ من اليهود بمغادرة اليمن على أمل الوصول إلى فلسطين بعد ذلك، ولقد وصلوا إلى عدن ليجدوا إمكانية واحتمال الحصول على شهادات الهجرة إلى فلسطين، ولأنهم لا يملكون أي مصادر للعيش، فقد ناموا في الشوارع والكنس والخرائب".^(١)

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٨٤، ١٨٥.

وقد تزايدت أعداد يهود اليمن في معسكر حاشد من جراء عملية التجميع، وشكل هذا التزايد والتواجد المستمر مصدر قلق للسلطات البريطانية في المستعمرة، لما يسببه من أعباء حراسة واستفزاز لمشاعر المواطنين المسلمين، مما دفع بحاكم عدن "ريجنالد شامبيون" إلى الاتصال برقيماً بالإمام يحيى طالباً موافقته على إعادة اليهود اليمنيين، وقد جاء رد الإمام يحيى بالموافقة على عودة يهود اليمن في خلال شهرين من تاريخ موافقته .

وبهدف الاستفادة من تلك الفرصة التي هيأتها موافقة الإمام، قام الحاكم بتكليف مفوض المنطقة البريطاني للاتصال السريع بقيادة معسكر حاشد من اليهود، وإبلاغهم بموافقة الإمام على عودتهم إلى مدنهم وأحيائهم .^(١)

لكن الوكالة اليهودية لم يكن يعنيهها ازدحام اللاجئين في عدن، ولا الظروف السيئة التي تحيط بهم، بقدر ما كان يعنيه استمرار اقتلاع اليهود من اليمن إلى فلسطين، وعندما استدعى السير "شامبيون" مندوبة الوكالة اليهودية في عدن في مطلع عام

(٢) عبد الكريم عكاشة، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

(١٩٤٧م)، الدكتورة "أولفا فينيرغ" واقترح عليها الموافقة على عودة قسم من اللاجئين من عدن إلى شمال اليمن كحل مؤقت لتخفيف الازدحام في معسكري حاشد والشيخ عثمان، وأن الإمام لا يمانع في ذلك، رفضت رفضاً قاطعاً وقالت: " *إن اللاجئين سيهاجرون فقط إلى فلسطين مهما كانت الظروف*". وهذا يعني أن الوكالة اليهودية كانت تنتظر لازدحام اللاجئين في عدن وغياب أي أمل لديهم في العودة إلى شمال اليمن، بمثابة كسب يسهل على الوكالة اليهودية بلوغ أهدافها وليس العكس.^(١)

والواضح أيضاً أن السلطات البريطانية لم تكن جادة في طلب إعادة اليهود إلى شمال اليمن، فلو كان الأمر كذلك لما سعت للحصول على موافقة الوكالة اليهودية، ولبادرت فوراً بالعمل على إعادتهم.

بعد قيام إسرائيل في عام (١٩٤٨م) وضعت القيادة الإسرائيلية بزعامة "بن غوريون" قضية تهجير يهود البلدان العربية على رأس أولوياتها، وهيأت لذلك كل ما تملكه من وسائل ذاتية ودعم القوى

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٨٥.

الغربية المؤيدة لإسرائيل خصوصاً أمريكا وبريطانيا. ويعود الاهتمام الكبير لحكومة بن غوريون بتهجير يهود البلاد العربية بما في ذلك يهود اليمن إلى الرغبة في توفير الطاقة البشرية والاقتصادية والقوة العسكرية اللازمة لبناء دولة إسرائيل، وأهدافها التوسعية، ومما يجدر ذكره هنا أن "بن غوريون" شبه يهود البلاد العربية بـ "الزنج الذين أحضروا إلى أمريكا كعبيد!!"^(١).

كانت الوكالة اليهودية عبر مبعوثها من القدس، ومكتب الهجرة في عدن، ودعم السلطات البريطانية، قد هيأت منذ أواسط الأربعينات مع الإمام يحيى وولي عهده "أحمد" في حينه، لتهجير يهود اليمن بشكل جماعي، ولذلك عندما اغتيل الإمام يحيى عام (١٩٤٨م) لم تجد الأجهزة الصهيونية أية صعوبات مع خلفه الإمام أحمد الذي تسلم العرش من بعده، بشأن متابعة تهجير يهود اليمن عبر عدن.^(٢)

في البداية وفرت الحكومة الإسرائيلية (٣٥٠٠) تأشيرة دخول من السلطات البريطانية في عدن، وانهمكت الوكالة اليهودية

(١) عكاشة، مرجع سابق، ص ٢١٢، ٢١٣.

(٢) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ١٨٦، ١٨٧.

بالتحضير لاستقبال هجرة جماعية من يهود اليمن. وأوكلت إلى لجنة التوزيع الأمريكية اليهودية (J.D.G) مهمة نقل يهود اليمن من عدن عن طريق الجو. (١) فأبرمت اتفاقاً مع خطوط الطيران الأمريكية (الأسكا) - والتي سبق وقامت بنقل اليهود من الصين أثناء الحرب الأهلية الصينية - لنقل يهود اليمن على متن طائراتها، وياشرت الشركة عملها منذ منتصف ديسمبر (١٩٤٨م) ونظراً للأعداد الكبيرة للمهاجرين اليهود، ورغبة في إنجاز هذه العملية في أسرع وقت، طلبت لجنة التوزيع الأمريكية من شركة الشرق الأدنى للنقل الأمريكية، المساعدة في نقل يهود اليمن، وفي عام (١٩٤٩م)، قدمت الشركة (١٢) طائرة من نوع Skeymaster من خطوط جوية بريطانية وأمريكية تطير على مدار اليوم، وتستطيع حمل ضعف حمولة طائرات الأسكا.

كان المهاجرون اليهود ينقلون من مخيماتهم المؤقتة في عدن جواً بمعدل (٣٠٠) أو (٥٠٠) شخص في اليوم، وكانت الرحلة تستغرق حوالي (٩) ساعات من مطار عدن إلى مطار اللد. وخلال شهري سبتمبر وأكتوبر من نفس العام تم ترحيل ما بين

(١) كاميليا أبو جبل، مصدر سابق، ص ١٨٧.

(٢٥) إلى (٤٠) ألف يهودي جواً من قاعدة سلاح الجو الملكي
بالشيخ عثمان. (١)

وفي عام ١٩٥٠م كان معظم يهود اليمن قد انتقلوا إلى إسرائيل
عبر عملية النقل الجوي الذي عرفت باسم "البساط السحري" والتي ما
زالَت الأوساط اليهودية إلى الآن تتفاخر باقتلاع يهود اليمن من
موطنهم الأصلي في زمن قياسي بين الأعوام (١٩٤٨م-١٩٥٠م) .

جدول يبين عدد المهاجرين من يهود اليمن في عملية البساط

السحري

١٦ ديسمبر ١٩٤٨م - ٢٤ سبتمبر ١٩٥٠م

الشهر والسنة	عدد المهاجرين	الشهر والسنة	عدد المهاجرين
ديسمبر ١٩٤٨	٢١٦	يناير ١٩٥٠	١٩٨١
يناير ١٩٤٩		فبراير ١٩٥٠	٢٠٦٢
فبراير ١٩٤٩	٤٥٠٠	مارس ١٩٥٠	١٥٠٤
مارس ١٩٤٩	٣٣٠٠	أبريل ١٩٥٠	١٠٢٥
		مايو ١٩٥٠	٩٨٩
مايو ١٩٤٩	١٥٩	يونيه ١٩٥٠	٥٢٠
يونيه	١٠٨	يوليه ١٩٥٠	٤٠٥

(١) إريك ماركو، مرجع سابق، ص ١٧٦.

٤٣٧	أغسطس ١٩٥٠	٦٢٥	يوليه
٣٢٣	سبتمبر ١٩٥٠	٢١٧٠	أغسطس
٩٢٤٦	المجموع :	٨٨٦٤	سبتمبر
		١١٤٤٥	أكتوبر
		٥٤٧٨	نوفمبر
		٣٠٥٥	ديسمبر
		٣٩٩٢٠	المجموع :
		٤٩١٦٦	المجموع الكلي :

المصدر: محمد عبد الكريم عكاشة، يهود اليمن

والهجرة إلى فلسطين، ص ٢٢٣.

لم يخسر الإمام كثيراً بغياب اليهود، فهم لم يشتركوا في إدارة البلاد، ولم يكونوا ضمن قوات الجيش، إلا أن البلاد خسرت عدداً كبيراً من الحرفيين المهرة، غير أن أبناء اليمن كانوا قد تعلموا الكثير من هذه الحرف وأتقنوها .

بقايا اليهود في اليمن

تتضارب المعلومات حول الرقم الحقيقي لمن تبقى من يهود اليمن في موطنهم الأصلي، إلا أن التقديرات تشير إلى أن عددهم يتراوح بين بضع مئات وألف نسمة، ويتخوف الحاخام (عيسى بن يحيى) وهو من يهود ريده الذين لم يغادروا اليمن من أن تتعرض الديانة اليهودية للانقراض، فالانخفاض التدريجي لعدد اليهود وتشتتهم وتفريق شمل عائلاتهم، يثير قلق أتباع الديانة، خصوصاً في ضوء التقديرات التي تشير إلى تناقص أعدادهم من ٦٠٠ قبل ثلاثة أعوام إلى النصف حالياً. (١)

ويذكر الدكتور (امنون كابلوك) الذي زار اليمن عام (١٩٨٤م) بجواز سفر أمريكي بهدف التعرف على أحوال اليهود الموجودين هناك، أن جميع اليهود الباقين في اليمن يتجمعون بشكل أساسي في منطقتي صعدة وريده، وبعض مناطق متفرقة أخرى، وهم يعيشون حياة مستقرة ويحافظون

(١) جريدة البيان، يهود اليمن مهددون بالانقراض، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٤٢٠هـ، الموافق ٢٩ مارس ٢٠٠٠م .

على جميع طقوسهم الدينية ويتكلمون اللغة العربية فيما بينهم. وعلى الرغم من وجود أقارب لقسم كبير منهم في إسرائيل، فهم يرفضون الهجرة إليها. وفي لقاء أجرته صحيفة المستقبل الأسبوعية الصادرة في صنعاء مع اليهودي (يهوذا بن يحيى خيب) وهو من يهود ريده، أجاب على السؤال: لماذا لم تهاجر إلى إسرائيل؟ بقوله: " لماذا نسافر ونترك بلدنا الذي ولدنا وعشنا فيها من أيام سبأ وحمير؟ " .

ويعبر السكان في اليمن عن أسفهم لرحيل اليهود واقتلاعهم من موطنهم الأصلي اليمن، وينسجم الموقف الرسمي للحكومة اليمنية مع الرأي العام الداخلي المؤيد لبقاء يهود اليمن فيها. (١)

وقد قام عدد من الوفود الإسرائيلية من أصل يماني بزيارة اليمن، والذين منحوا تأشيرات دخول على بطاقات خاصة بناء على جوازات سفرهم الإسرائيلية عبر ممثل اليمن لدى الأمم المتحدة، وإن لم يدخلوا اليمن بجوازاتهم الإسرائيلية، كما قدموا من

(١) كاميليا أبو جبل، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

تل أبيب عبر أديس أبابا في أواخر مارس ٢٠٠٠م زاروا صنعاء
وتجولوا في الحي اليهودي هناك الذي لا يسكنه الآن أي يهودي،
واستعانوا بكبار السن لمعرفة بيوت أقربائهم وعائلاتهم التي
سكنوها حتى نهاية الأربعينات. (١)

(١) تقرير عن "يهود اليمن"، موقع صدق الشرق المسلم .

الخاتمة

يتضح لنا من خلال هذا الكتاب، أن ظهور يهود اليمن قديم جداً، وظلوا جزءاً لا يتجزأ من الشعب اليمني حيث شاركوا مشاركة فعالة في جميع الأحداث التي عاشها اليمن وخضعوا لنفس الظواهر الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي خضع لها المجتمع اليمني.

وتبين من خلال البحث أن يهود اليمن تمتعوا مقابل دفع الجزية بحماية المسلمين لحياتهم وأموالهم. كما تمتعوا بمزايا عديدة أهمها: حرية ممارسة طقوسهم الدينية، وحرية العيش والتثقل والتملك في أرجاء اليمن، وتوفرت لهم حرية اختيار وممارسة أية مهنة أو حرفة يريدونها. مما ساعد على تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وبرز منهم عدد من كبار التجار الذين عملوا في الاستيراد والتصدير من اليمن وإليها، وفي عهد الإمام يحيى تحسنت أوضاعهم الاقتصادية أكثر بصدور القوانين المنظمة لعلاقات المسلمين باليهود. وإلزام المسلمين باحترام

حقوق اليهود والمحافظة على ممتلكاتهم هناك، ودعم ذلك وجود نظام قضائي خاص يسهل فض النزاعات فيما بينهم وينظم علاقتهم بالمسلمين.

واهتم الكتاب بإبراز الأوضاع الاجتماعية ابتداءً بتقديم وصف لـ"الحي اليهودي" ومنازله، ومروراً ببعض العادات والمناسبات والأعياد الخاصة باليهود، وانتهاءً بتوضيح مكانة المرأة اليهودية في المجتمع اليهودي اليمني .

كما تطرقنا بإيجاز في الفصل الرابع إلى الهجرة الجماعية ليهود اليمن إلى فلسطين، وهو ما عُرف باسم "البساط السحري" في نهاية حكم الإمام "يحيى" عند إعلان قيام دولة إسرائيل في عام (١٩٤٧م). والجهود الحثيثة التي بُذلت من قبل الوكالة اليهودية، وتقديم التسهيلات البريطانية لإجلائهم من اليمن في مدة وجيزة.

ويعيش من بقي من يهود اليمن، وهم لا يتعدون بضع مئات، في وطنهم مع الشعب اليمني متساويين في الحقوق والواجبات في

ظل سيادة القانون ، وقد أبدت الحكومة اليمنية استعدادها لقبول
عودة من يرغب من يهود اليمن إلى موطنه الأصلي.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة:

١. مجموعة وثائق عن اليهود من المركز الوطني للوثائق .
٢. وثيقة من أرشيف الأخ عبد اللطيف أحمد سعد الشرقي، حفيد القاضي سعد، بتاريخ الأحد ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ هـ .

ثانياً : المصادر والمراجع العربية:

١. ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث، ط٢، ١٩٧٥م .
٢. إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، ٢٠٠٢م .
٣. أحمد عبيد بن دغر، اليمن تحت حكم الإمام أحمد (١٩٤٨-١٩٦٣م) القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥م .
٤. أحمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، بيروت، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٨م .

-
٥. أحمد قائد الصائدي، حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، ١٩٨٣م.
٦. أحمد وصفي زكريا، من دمشق إلى صنعاء، بيروت، دار العودة، ١٩٨٦م.
٧. إدجار أوبلانس، اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م، تعريب: عبدالخالق لاشين، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م.
٨. أريك ماركو، اليمن والغرب، (١٥٧١-١٩٦٢م) تعريب: حسين العمري، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٧م.
٩. ألان أنترمان، اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم، تعريب: عبد الرحمن الشيخ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.
١٠. أمة السلام محمد جحاف، التربية اليهودية في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، صنعاء، جامعة صنعاء، ١٩٩٤م.
١١. أمين الريحاني، ملوك العرب، الجزء الثاني، بيروت، دار الريحاني للطبع والنشر، ١٩٨٣م.
١٢. ذكرى عبد الملك مطهر، الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م.

-
١٣. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد، شركة الرابطة للتوزيع والنشر، ١٩٨٣ م .
١٤. الجواهري، قاموس الصحاح، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٤ م .
١٥. جمعية ناظوري كارتا، يهود اليمن في كتاب "الإبادة الجماعية" ، مجلة دراسات يمنية، العدد ١٧، ١٩٨٤ م. من ١٤١-١٧١.
١٦. جريدة البيان، مقال منزل في الإنترنت بعنوان " يهود اليمن مهددون بالانقراض، بتاريخ ٢٩ مارس ٢٠٠٠ م .
١٧. حاييم حبشوش، رؤيا اليمن، مخطوط مطبوع، تعريب: سامية صغير، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٢ م.
١٨. حسين عبد الله العمري، اليمن والمنار، دراسة ونصوص، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٧ م.
١٩. زيد محمد حجر، أوضاع يهود صنعاء الاجتماعية، مجلة دراسات يمنية، العدد ٤٦، ١٩٩٢ م .
٢٠. سلفاتور أبونتي، مملكة الإمام يحيى، رحلة في بلاد العربية السعيدة، تعريب طه فوزي عن الإيطالية، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٧ م .

-
٢١. سيف الدين آل يحيى، تاريخ البعثة العراقية العسكرية إلى اليمن، ج ٢ ، سلسلة الثقافة العسكرية، رقم ١٩٨ ، دائرة التدريب مديرية التطور القتالي، ١٩٨٦ م .
٢٢. العزي صالح السنيدار (مذكرات)، الطريق إلى الحرية، إعداد: علي بن عبد الله الواسعي، صنعاء ، مطابع صنعاء الحديثة، ١٩٩٨ م.
٢٣. صدى الشرق المسلم، موقع بالإنترنت، تقرير عن اليهود في اليمن.
٢٤. عباس الشامي، يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، سلسلة كتاب المسيرة اليمانية، ط ٢ ، صنعاء ، ١٩٨٨ م .
٢٥. عباس فاضل السعدي، التطور المورفولوجي لمدينة صنعاء ، مجلة دراسات يمنية، العدد ١١٥ ، ١٩٨٤ م .
٢٦. علي عبد الله الواسعي ، يهود اليمن مالذي بقي لهم، مجلة نوافذ، العددان ٢٧ ، ٢٨ ، يونيو / يوليو ، ٢٠٠٠ م ،
٢٧. فضل علي أبو غانم، القبيلة والدولة في اليمن، القاهرة، دار المنار، ١٩٩٠ م .

-
٢٨. كاميليا أبو جبل، يهود اليمن، دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، دمشق، دار النمر للطباعة والنشر، ١٩٩٩ م.
٢٩. كلودي فاين، كنت طبية في اليمن، تعريب أحمد العيني، صنعاء، دار الكلمة، ١٩٨٥ م.
٣٠. مطهر الإيراني، حوار مع قناة الجزيرة حول يهود اليمن، بتاريخ ١٢/١٢/٢٠٠٠ م.
٣١. مجموعة باحثين، الموسوعة اليمنية، مؤسسة الغفيف الثقافية، الجزء الثالث، صنعاء، ٢٠٠٢ م.
٣٢. محمد عبد الكريم عكاشة، يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين، من (١٨٨١-١٩٥٠م)، عدن، ١٩٩٣ م.
٣٣. محمد المجذوب، المستوطنات اليهودية، القاهرة، دار النهضة، ١٩٧٥ م.
٣٤. نزيه مؤيد العظم، رحلة في بلاد العربية السعودية، القاهرة، عيسى الحلبي، ١٩٣٧ م.

ثانياً : المراجع الأجنبية

- 1) Bat-Zion. Eraqi. Klorman: The Jews of Yemen, in the Mineteenth Century E.J.Brill, Leiden, Newyork, 1993.
- 2) Clayton, G; An Arabian Diary, C.U.P, 1969, pp (228-229).
- 3) Manfred W.Wenner: Modern Yemen, The Johns Hopkins, Press Baltimore.
- 4) Yehuda Nini: the Jews of the Yemen, (1800-1914), Tel Aviv university, Israel. Translated from, the Hebrew by, H.Galai.

فهرس الكتاب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢	الإهداء
٣	المقدمة
١١	مدخل تاريخي
٢٦	الفصل الأول: علاقة اليهود بنظام الحكم اليمني
٢٧	أولاً : ضريبة الجزية
٣٣	ثانياً : القضاء
٤٦	الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية ليهود اليمن

٤٦	أولاً : الزراعة
٥٠	ثانياً : الحرف والمهن
٦٧	ثالثاً : التجارة
٧٨	الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية ليهود اليمن
٨٣	مساكن اليهود
٩١	الكنس والمسكن اليهودية
٩٥	المدارس اليهودية
٩٧	أهم المناسبات والأعياد لدى اليهود
١٠١	مكانة المرأة في المجتمع اليهودي
١٠٧	الفصل الرابع: هجرة اليهود إلى فلسطين
١٠٩	البدايات الأولى
١١٢	المرحلة الثانية
١١٦	الهجرة الكبرى
١٢٣	بقايا اليهود في اليمن
١٢٦	خاتمة الكتاب

١٣٠	المصادر والمراجع
١٣٦	فهرس الموضوعات
١٣٨	الملاحق
١٤٧	نبذة عن الباحثة

نبذة مختصرة عن الباحثة

الباحثة والشاعرة: جميلة هادي الرجوي، مواليد الجمهورية اليمنية
- صنعاء.

المؤهل العلمي:

- بكالوريوس تربية جامعة صنعاء.
- دبلوم خاص في التربية من نفس الجامعة.
- ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أسيوط - مصر.
- دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من نفس الجامعة.

دبلومة البرمجة اللغوية والعصبية (NLP) القاهرة.

عضوة في:

- منظمة اتحاد الكتاب الأفريقيين والآسيويين.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي.
- عضو رابطة الأدب الحديث.
- عضو مؤسس لجمعية الشاعرات العربية - القاهرة.
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - القاهرة.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - القاهرة.

من مؤلفاتها:

- يهود صنعاء (كتاب مطبوع).
- محمد علي واليمن (١٨١٨ - ١٨٤٠م) (كتاب مطبوع).
- المعارضة اليمنية الطلابية في مصر (١٩٤٠-١٩٦٢م)
(رسالة دكتوراه غير منشورة).

-
- كتاب مادة اليمن في مضابط الجامعة العربية (كتاب وثائقي)
(١٩٤٥-١٩٦٣م).
- "من فيض الوجدان" ديوان شعر مطبوع.
- "رسالة حب من حواء" ديوان شعر مطبوع.
- "شموع ودموع على عتبات المستحيل" ديوان شعر قيد
الطبع.

ولها العديد من الكتابات الصحفية والمشاركات الأدبية
الفعالة بجمهورية مصر العربية، واليمن.. ونشرت كتاباتها
وقصائدها بالعديد من الصحف والمجلات العربية مثل:
جريدة الأهرام العربي وجريدة آفاق عربية مصر، مجلة المثقف
العربي، ومجلة منبر الإسلام، ومجلة حواء القاهرة، جريدة إيلاف
ومجلة النور والشقائق اليمن، جريدة المدينة المنورة السعودية،
جريدة الوطن العربي الكويت .. وغيرها. كما تشارك بالعديد من
المنتديات عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وبالأخص منتديات
واتا الحضارية، والفيس بوك.
